خاتمة القصيدة في شعر ابن دراج القسطلي

دراسة تحليلية

د / جمال عبد الحميد زاهر

أستاذ الأدب العربي المساعد كلية الآداب جامعة قناة السويس

المستخلص

كثرت الدِّراسات – في الآونة الأخيرة – التي تعنى بمطالع القصائد ومقدماتها, وقلَّت بصورة ملحوظة تلك التي تهتم بخواتيم القصائد, لذا حاول الباحث أن يسهم في إماطة اللثام عن هذا الجزء المهم من أجزاء بناء القصيدة, ألا وهو الخاتمة.

بأن يلقى الضوء على أهميتها ودورها في العمل الأدبي باعتبارها اللبنة الأخيرة من لبنات بناء القصيدة, وهي القول الأخير, وفيها تكثيف التجربة وخلاصتها, وحصيلة كل ما سبقها من أفكار ورؤى واتجاهات, كما أنها قاعدة القصيدة, ولا يغفر للشاعر إساءته فيها.

كذا مناقشة شروط جودتها في ضوء ما ذكره نقاد الأدب قديما وحديثا, ثم يأتي التطبيق على أحد أهم شعراء العصر الأندلسي وهو ابن دراج القسطلي.

الكلمات المفتاحية:

ابن دراج – الخاتمة – الدعاء – طلب الجائزة – الحكمة – الخاتمة المقطوعة .

مقدمة

تعددت – في الآونة الأخيرة – الأبحاث التي تعالج مطالع القصائد ومقدماتها, وقلَّت بصورة ملحوظة تلك التي تهتم بخواتيم القصائد, على الرغم من أن الخاتمة هي اللبنة الأخيرة من لبنات بناء القصيدة, وهى القول الأخير, وفيها تكثيف التجربة وخلاصتها, وحصيلة كل ما سبقها من أفكار ورؤى واتجاهات, كما أنها قاعدة القصيدة, ولا يغفر للشاعر إساءته فيها.

ونحاول أن نكشف اللثام عن هذا الجزء المهم من أجزاء بناء القصيدة, ألا وهو الخاتمة, من خلال هذا البحث وعنوانه:

(خاتمة القصيدة في شعر ابن دراج القسطلي)

وقد دفعني لاختيار هذا الموضوع عدة عوامل منها:

1– ما تمثله خاتمة القصيدة من أهمية كبيرة, حتى اعتبرت إحدى أهم وسائل المفاضلة بين الشعراء.

2– ما يمثله ابن دراج القسطلي من قيمة شعرية كبيرة على خريطة الأدب العربي – عامة – والأندلسي منه – خاصة –.

3– الرغبة في المُشاركة في تلك الجهود التي اتَّجهت إلى العناية بالأدب الأندلسي والكشف عن جوانبه وخصائصه الفنية, من خلال التَّطبيق على ديوان ابن دراج القسطلي.

ويهدف هذا البحث إلى:

1– إلقاء الضوء على جوانب من سيرة ابن دراج القسطلي وبيان موقعه على خريطة الشعر الأندلسي من خلال مناقشة وتحليل آراء النقاد وأقوالهم حول شعره وأدبه.

2– التعريف بالخاتمة وأهميتها ودورها في العمل الأدبي باعتبارها اللبنة الأخيرة من لبنات بناء القصيدة, وآخر ما يقرع السمع منها.

3– مناقشة شروط جودة الخاتمة في ضوء ما ذكره نقاد الأدب القدامى والمحدثون.

4- كشف اللثام عن أنماط خواتيم القصائد عند ابن دراج القسطلي, أحد أهم شعراء العصر الأندلسي.

5- إضافة لبنة جديدة من لبنات الدرس الفني, لنصوص الشعر العربي, في العصر الأندلسي.

وتكمن مشكلة البحث في أن اهتمام الباحثين قديما وحديثا انصبَّ على دراسة عدة أمور مثل المطلع والتخلص, ولم تحظ الخاتمة بمثل هذا الاهتمام , يقول د/ رزوقي هاشم: "أما الخاتمة وهى الركن المهم في بناء القصيدة فلم تنل من تنظيرهم إلا إشارات متناثرة في كتب التراث, فضلا عن الإشارات الموجزة التي أوردها الباحثون المعاصرون"[1].

ويقول د/ جاسم محمد جاسم: "أما في العصر الحديث فلم تكد تنال الخاتمة حظا أوفر مما نالته من حضور في النقد العربي القديم, إذ اقتصرت دراستها على وقفات مقتضبة تأتي في مظان تحليل القصيدة, وفي حدود ضيقة, دون أن يفرد لها كتاب يتناولها تناولا معمقا أسوة بباقي إشكاليات القصيدة العربية"[2].

ويقول د/ قحطان رشيد صالح:" وإذا كانت مطالع القصيدة العربية قد نالت حظها من اهتمام الدارسين, فإن الخاتمة الشعرية لم تأخذ نصيبها كاملا من هذا الاهتمام"[3].

ومن الدراسات السابقة عن ابن دراج:

- **بلاشير: ابن دراج حياته وأدبه – مجلة Hesperis مجلد 16 – 1933م.**
- **سالم محمد الوسطاني: حياة ابن دراج وشعره- رسالة دكتوراه – جامعة الأزهر- 1967م.**
- **-أشرف علي محمود: الصورة الفنية في شعر ابن دراج – مكتبة نهضة الشرق – القاهرة – الأولى 1994م.**
- **إبراهيم منصور محمد: شعر ابن دراج القسطلي: دراسة و تحليل – رسالة ماجستير-كلية الآداب- جامعة اليرموك- الأردن – 1997م.**

- عائشة راشد: العاطفة الأسرية في شعر ابن دراج القسطلي– مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية – قطر– مج 15, ع 15– 2003م.

- محمد معروف: التجربة الشعرية عند ابن دراج القسطلي– رسالة دكتوراه– كلية الآداب والعلوم الإنسانية– جامعة حلب– سوريا 2004م.

- محمد بن محمد الحجوي: الدلالات الفنية لظاهرة حسن التخلص وأثرها في شعر ابن دراج القسطلي– مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة ابن طفيل بالقنيطرة – المغرب – ع 4 – 2004م.

– صديق بتال حوران: أسلوبية التناص في شعر ابن دراج القسطلي–مجلة كلية التربية – الجامعة المستنصرية – العراق– ع2– 2009 م.

- إخلاص حسن محمد: فن المدح عند ابن دراج القسطلي– بحث مقدم إلى كلية الدراسات العليا جامعة الخرطوم لنيل درجة الماجستير– 2011م.

- عبد الجبار خليفة: التناص في شعر ابن دراج القسطلي الأندلسي – مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي – كلية الآداب واللغات – جامعة محمد خيضر – الجزائر 2011م.

– عواد بن ملفي الشمري: التشبيه في شعر الحرب عند ابن دراج القسطلي– رسالة ماجستير– كلية اللغة العربية جامعة أم القرى – المملكة العربية السعودية – 2014 م.

- عبد القادر صحراوي: صورة الممدوح في شعر ابن درَّاج القسطلي– مجلة العلوم الإنسانية– عدد 94 – المجلد ب –2018م.

أما بحثنا هذا وعنوانه: (خاتمة القصيدة في شعر ابن دراج القسطلي ... دراسة تحليلية) فيتكون من ثلاثة مباحث هي:

المبحث الأول: ابن دراج ومكانته الأدبية.

المبحث الثَّاني: الخاتمة ودورها في بناء القصيدة.

المبحث الثَّالث: أنماط الخواتيم في شعر ابن دراج.

ثم الخاتمة: وبها أهم النَّتائج التي انتهى إليها البحث.

ويخضع البحث للمنهج الوصفي التحليلي, كما يستفيد من المنهج الإحصائي في تحليل الظواهر وتعليلها.

المبحث الأول: ابن دراج ومكانته الأدبية:

هو أحمد بن محمد بن العاصي بن أحمد بن سليمان بن عيسى بن درّاج القسطلي وكنيته أبو عمر, ولد في المحرم سنة 347 هـ في بيت ذي مكانة من بيوت قسطلة, لأسرة من الأسر النبيلة ذات المكانة المرموقة يشي بذلك أن بلدة قسطلة حمل اسم أسرته فعرف عند المؤرخين بقسطلة دراج، وأن دراجا جد الشاعر الأعلى وبنيه تداولوا على رياستها.

لا تمدنا المراجع بشئ ذي بال عن المراحل الأولى من حياته إذ لا نعرف عن طفولته وصباه كثيرا ويغلف الغموض أخباره منذ مولده إلى ظهوره فجأة في بلاط المنصور بن أبي عامر, غير أننا لن نكن مخطئين لو تصورنا أنه بدأ حياته يتردد على مجالس الشيوخ وحلقاتهم يلتقط منهم القران الكريم والحديث الشريف وشيئا من علوم اللغة والأدب والفقه والسيرة والأخبار والأنساب, ولا بد أنه طالع دواوين فحول الشعراء لا سيما شعراء المشرق.

وعندما بلغ ابن دراج أشده واستوى فنيا طرق بلاط المنصور بن أبي عامر بقرطبة سنة 382هـ، وامتدحه بقصيدة هائية عارض بها قصيدة لصاعد بن الحسن البغدادي اللغوي الذي وفد على المنصور سنة 380هـ, وهي أول ما أنشده ابن دراج في حضرة المنصور، ومطلعها[4]:

أضَاءَ لَهَا فَجْرُ النّهَى فَنَهَاهَا عَن الدّنِفِ المُضَنَّى بِحَرِّ هَوَاهَا
وضَلَّلَهَا صُبْحٌ جَلا لَيْلَةَ الدّجَى وقَدْ كَانَ يَهْديهَا إِلَيَّ دُجَاهَا

نالت هذه القصيدة إعجاب المنصور ونتج عنها إثبات ابن دراج في ديوان العطاء من ناحية، ومن ناحية أخرى أثارت حسد وحنق وتشكيك ونقد شعراء المنصور فاتهموه بالسرقة و الانتحال، مما دفع المنصور إلى استدعائه واختباره ليجلو حقيقة شاعريته, وتؤكد المصادر أنه اجتاز هذا الاختبار بنجاح, يقول الحميدي: "فبرز وسبق وزالت التهمة عنه، فوصله بمائة دينار وأجرى عليه الرزق وأثبته في جملة الشعراء"[5].

ثم أكد ابن دراج شاعريته بقصيدة أخرى قال فيها[6]:

ولسْتُ أولَ منْ أعْيَتْ بدائعُهُ فاسْتَدْعَت القَوْل ممن ظَنَّ أوحَسِبا

إنَّ امْرَأ القَيْسِ في بعضٍ لَمُتّهَم وفي يديْه لواءُ الشعر إنْ رَكِبا

والشعر قد أسر الأعشى وقَيّده خبرا وقَدْ قيل: والأعشى إذا شربا

وكسابقتها نالت هذه القصيدة إعجاب المنصور وحبه وتقديره، وتوطدت منزلته عنده حتى أصبح من كبار شعراء بلاطه، وقلده أيضا منصب الكتابة في ديوان الإنشاء.

على مدار عشر سنوات أقام ابن دراج في رحاب المنصور إقامة تشبه إقامة المتنبي في رحاب سيف الدولة الحمداني ينعم بمننه التي تتوالى عليه توالي القطر, وتتسع سعة البر والبحر, وفي المقابل ظفر منه المنصور باثنتين وثلاثين قصيدة من خيرة قصائده ومدائحه .

وبعد وفاة المنصور بن أبي عامر سنة 392 هـ تقلد الحجابة بعده ابنه المظفرعبد الملك, وظل ابن دراج في بلاط عبد الملك شاعرا وكاتبا في ديوان إنشائه مدة ست سنوات مدحه خلالها بأربع وعشرين قصيدة.

وإجمالا فابن دراج عاش في ظل الدولة العامرية سبعة عشر عاما (382 – 399 هـ)، مدح خلالها المنصور بن أبي عامر وابنه عبد الملك المظفر بست وخمسين قصيدة،وتعد هذه الفترة أخصب فترات الشاعر إذ نعم باستقرار مادي ومعنوي.

وبعد أن انفرط عقد الدولة العامرية ضاقت الأندلس بشاعرها فقصد سبتة في رحلة هي الأولى والأخيرة له خارج الأندلس, وفيها تقرب إلى علي بن حمود غير أنه لم يظفرمنه بطائل مما دعاه إلى تركها عائدا إلى الأندلس, ضاربا في مناكبها باحثا عن مساقط الكرم ومنابت

الجود, فتردد على مجموعة من المدن بدأها بالمرية مرورا ببلنسية وشاطبة وطرطوشة, مادحا أمراءها دون جدوى , ودون أن يحصل منهم على ما يشفي الغليل ويروي الصدي.

وإذا كان ابن دراج قد أمضى في ظل الدولة العامرية سبعة عشر عاما، نعم خلالها بفضل جزيل, وظل ظليل, وريح بليل, ونسيم عليل, فقد كتب عليه أن يقضي– بعد غروب شمس العامريين– نصف هذا العدد من السنوات حياة بؤس وشقاء, إذ أدبرت عنه الدنيا وقلبت له ظهر المجن, ووجد نفسه وشعره في مهب الريح, لا يلتفت إليه ولا يعبأ به, فجاء شعره في هذه الفترة مطبوعا بالشكوى والألم والحسرة, يقول موجها كلامه لمنذر بن يحيى(7):

فلئن صفا ماء الحياة لديك لي فبما شرقت إليك بالماء الصرى
ولئن خلعت علي بردا أخضرا فلقد لبست إليك عيشا أغبرا
ولئن مددت علي ظلا باردا فلكم صليت إليك جوا مسعرا

وكان عام أربعمائة وثمانية عام الغوث لابن دراج حين رحل إلى سرقسطة, وفيها ألقى عصا التسيار, واطمأنت به الدار, في رحاب منذر بن يحيى التجيبي وابنه يحيى من بعده, حيث قرباه وأغدقا عليه واتخذاه شاعر بلاطهم وكاتب ديوانهم, فطعم بعد جوع, وأمن بعد خوف, ونال من منذر وابنه ما مكنه من اقتناء العقارات والضياع .

يعد المدح صفوة إنتاج ابن دراج وحبة القلادة من شعره, مدح المنصور وابنه عبد الملك المظفر بقرطبة, والمهدي محمدا بن هشام بن عبد الجبار, والمستعين سليمان بن الحكم, وخيران العامري صاحب المرية, ومباركا ومظفرا صاحبي بلنسية, ولبيبا صاحب طرطوشة, ومنذرا بن يحيى وابنه يحيى صاحبي سرقسطة, ومجاهدا العامري صاحب دانية, عدا من مدح من الوزراء والقواد.

توفي ابن دراج في دانية ليلة الأحد لأربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة إحدى وعشرين وأربعمائة وهو في الرابعة والسبعين من عمره.

يحتل ابن دراج مكانة بارزة بين شعراء الأندلس, وقد أشار إليه غير واحد من مترجميه بقولهم: "شاعر الأندلس"[8], وقد شهد له كل من ترجم له:

قال (أبو عامر بن شهيد ت 399هـ) يصف ابن دراج: "والفرق بين أبي عمر وغيره أن أبا عمر مطبوع النظام ، شديد أسر الكلام، ثم زاد بما في أشعاره من الدليل على العلم بالخبر واللغة والنسب, وما تراه من حوكه للكلام وملكه لأحرار الألفاظ وسعة صدره وجيشة بحره، وصحة قدرته على البديع، وطول طلقه في الوصف، وبغيته للمعنى وترديده، وتلاعبه به وتكريره، وراحته بما يتعب الناس، وسعة نفسه فيما يضَيِّقُ الأنفاس"[9].

وترجم له (أبو منصور الثعالبي ت 429هـ) في يتيمة الدهر وقال في حقه:"كان بصقع الأندلس كالمتنبي بصقع الشام, وهو أحد الشعراء الفحول, وكان يجيد ما ينظم ويقول"[10], وأورد له أشعارا حسنة في المدح والرثاء والوصف[11].

وقال (ابن حزم الأندلسي ت456 هـ):" وقد كان أحدث ابن دراج عندنا نوعا من البلاغة ما بين الخطب والرسائل"[12], وقال (ابن شرف القيرواني ت460هـ):"وأما القسطلي فشاعر ماهر عالم بما يقول, تشهد له العقول بأنه المؤخر بالعصر المتقدم في الشعر حاذق بوضع الكلام في موضعه وبالجملة فهو أشعر أهل مغربه في أبعد الزمان وأقربه"[13].

وأثنى عليه (الحميدي ت 488هـ) بقوله:" كان كاتبا من كتاب الإنشاء في أيام المنصور أبي عامر، وهو معدود في جملة العلماء, والمقدمين من الشعراء، والمذكورين من البلغاء، وشعره كثير مجموع يدل على علمه, وله طريقة في البلاغة والرسائل، تدل على اتساعه وقوته"[14].

وروى الحميدي قول ابن حزم: "لو قلت إنه لم يكن بالأندلس أشعر من ابن دراج لم أبعد,..... ولو لم يكن لنا من فحول الشعراء إلا أحمد بن دراج لما تأخر عن شأو حبيب والمتنبي"[15].

وروى الحميدي أن المنصور أبا عامر لما فتح شنتياقب استدعى أبا عمر بن دراج، وأبا مروان بن الجزيري، وكلفهما بإنشاء كتاب الفتح إلى الحضرة، وسائر الأعمال، فأما ابن

الجزيرى فقال: سمعا وطاعة، وأما ابن دراج فقال: لا يتم لي ذلك في أقل من يومين أو ثلاثة، وكان معروفا بالتنقيح والتجويد والتؤدة، فخرج الأمر إلى ابن الجزيري بالشروع في ذلك، فجلس في ظل السرادق ولم يبرح حتى أكمل الكتب في ذلك، وقيل لابن دراج افعل ذلك على اختيارك، فقد فسح لك فيه، ثم جاء بعد ذلك بنسخة الفتح، وقد وصف الغزاة من أولها إلى آخرها، ومشاهد القتال، وكيفية الحال، بأحسن وصف، وأبدع رصف، فاستحسنت ووقع الإعجاب بها، ولم تزل منقولة متداولة إلى الآن، وما بقي من نسخ ابن الجزيري في ذلك الفتح على كثرتها عين ولا أثر[16].

وقال (ابن عبد الله اللخمي ت542هـ): "... وهو معدود في جملة العلماء, والمتقدمين من الشعراء, والمذكورين من البلغاء, وشعره مجموع كثير, وكان يقرن بالمتنبي في الشعر, وله طريقة في البلاغة ومذهب في الترسيل يدل على اتساعه وقوته"[17].

أما (ابن بسام الشنتريني ت 542 هـ) فقد عقد فصلا لابن دراج بعنوان: فصل في ذكر الأديب أبي عمر أحمد بن دراج القسطلي وإثبات جملة من نظمه الفائق الدرر, ونثره المعجز الورد والصدر, واجتلاب ما يتعلق به ويتصل بسببه من خبر, وفيه قال: "كان أبو عمر وقته لسان الجزيرة شاعرا, وآخر حاملي لوائها، وبهجة أرضها و سمائها، و أسوة كتابها وشعرائها ، له عقد فخرها المحمول وسهم، وبه بدئ ذكرها الجميل وختم، حل اسمه من الأماني محل الأنس، وسار نظمه ونثره في الأقاصي والأداني مسير الشمس, وأحد من تضاءلت الآفاق عن جلالة قدره, وكانت الشام والعراق أدنى خطا ذكره,..... وإن من ذكره لم يوفه حقه, ولا أعطاه وفقه, ولا استوفى تقدمه وسبقه, ولو أوفى الأيام, واستنفد القراطيس والأقلام, وقد أتيت أنا من شعره بما يبهر نيرات الألباب, ويظهر خفيات الأسباب, ومن نثره ما يبهر العقول, ويباهي الغرر والحجول, ويسامي التيجان والأكاليل, ويسهل التقليد والتأويل"[18], كذا أشاد ابن بسام بلاميته الشهيرة في علي بن حمود ومطلعها:

لعلك يا شمس عند الأصيل شجيت لشجو الغريب الذليل

إذ فضلها على هاشميات الكميت وكثير عزة وشيعيات دعبل الخزاعي والسيد الحميري[19].

وروى (ابن ظافر ت 623هـ) قول ابن الفراء "حضرت عند عمي وعنده أبو عمر القسطلي – يعني ابن دراج – وأبو عبد الله المتيطي، فغنى المتيطي:

مروع منك كل يوم محتمل فيك كل لوم
يا غايتي في المنى وسؤلي ملكت رقي بغير سوم

فأعجبنا بهذين البيتين، فقال أبو عمر: أنا أضيف إليهما ثالثا لا يتأخر عنهما، ثم قال:

تركت قلبي بغير صبرٍ فيك وعيني بغير نوم[20]

وكتب(أبو الوليد الشقندي ت 629هـ) رسالة عدد فيها مناقب أهل الأندلس قال فيها – موجها كلامه لأبي يحيى بن المعلم الطنجي:" .... وهل لكم مثل شاعر الأندلس ابن دراج... الذي إن مدح الملوك قال مثل قوله:

ألم تعلمي أن الثواء هو وأن بيوت العاجزين قبور
وأن خطيرات المهالك لراكبها أن الجزاء خطير

وأنا أقسم بما حازته هذه الأبيات من غرائب الآيات لو سمع هذا المدح سيد بني حمدان لسلا به عن مدح شاعره الذي ساد كل شاعر ورأى أن هذه الطريقة أولى بمدح الملوك من كل ما تفنن فيه كل ناظم وناثر"[21].

وأشاد به(ابن خلكان ت 681هـ) بقوله: " وهو معدود في تاريخ الأندلس من جملة الشعراء المجيدين والعلماء المتقدمين"[22], وفي كتابه عن مفاخر البربر يتمدح (صالح بن عبد الحليم ت 712هـ) بإنجاب الأمة البربرية لمثل هذا الشاعر العظيم ابن دراج[23].

وقال عنه (ابن حيان الأندلسي ت 745هـ): "وأبوعمر القسطلي سباق حلبة الشعراء العامريين, وخاتمة محسني أهل الأندلس أجمعين "[24].

ووصفه (شمس الدين الذهبي ت748 هـ) بالعلّامة المنشئ البليغ أبو عمر أحمد بن محمد بن العاصي القسطلي الأندلسي من أعيان الأدباء وفحول الشعراء([25]), وفي موضع آخر قال عنه: "ابن دراج الأديب إمام البلغاء والشعراء"[(26)], كما وصفه بـ:"الشاعر البليغ"[(27)].

وأشاد(ابن فضل الله العمري ت 749هـ)بقصيدة ابن دراج التي عارض بها أبا نواس بقوله:"ومن وقف على هذه القصيدة وقصيدة أبي نواس عرف فضل قائلها على من تقدم, وشهد له بأنه سبق وإن تأخر,..... وأن هذا الشاعر في قصيدته التي عارض بها أبا نواس لم يدع له عارضا يستمطر ولاعارضة تذكر...." [(28)].

وترجم له (ابن تغربردي ت 874هـ) و وصفه بـ "الشاعر المشهور"[(29)] ,كذا أشاد به (ابن عبد المنعم الحميري ت900هـ) بقوله: "وكان أبو عمر كاتبا من كتاب الإنشاء في أيام المنصور بن أبي عامر وهو معدود في جملة العلماء, والمقدمين من الشعراء واختبر واقترح عليه فبرز وسبق"[(30)].

ووصفه(ابن العماد الحنبلي ت1089هـ) بـ"الشاعر الكاتب الأديب"[(31)], وقال عنه:"وغالب شعره مستحسن"[(32)], وروى قول الذهبي" كان في هذا العصر رأس الأشعرية أبو إسحق الإسفرائيني, ورأس المعتزلة القاضي عبد الجبار, ورأس الرافضة الشيخ المفيد, ورأس الكرامية محمد بن الهيضم, ورأس القراء أبو الحسن الحمامى, ورأس المحدثين الحافظ عبد الغني بن سعيد, ورأس الصوفية أبو عبد الرحمن السلمى, ورأس الشعراء أبو عمر بن دراج, ورأس المجودين ابن البواب, ورأس الملوك السلطان محمود بن سبكتكين"[(33)].

ومن الباحثين المحدثين يلقانا أحمد هيكل بقوله: "أما شعره من الناحية الفنية فإن أول ما يلاحظ عليه أنه يبلغ الذروة من الاتجاه المحافظ الجديد، وتتضح فيه معالم هذا الاتجاه بأكمل ما يكون الاتضاح، وتبدو فيه ناضجة أحسن ما يكون النضج حتى ليمكن أن يعتبر ابن دراج قمة هذا الاتجاه في الأندلس في أواخر القرن الرابع الهجري وأوائل القرن الخامس "[(34)].

وقال جودت الركابي: "وقد عرف من شعراء الدولة العامرية في قرطبة ابن دراج القسطلي، وكان كاتب المنصور بن أبي عامر وهو معدود من الفحول، وقد شارك ابن هانئ في لقب متنبي المغرب، ولابن دراج رسائل و فصول في النثر لاتختلف عن الرسائل و الفصول التي وضعت في العصر العباسي، وله شعر أبلغ من نثره"[35].

وعن شعره يقول أحمد ضيف: "أما شعره فهو في جملته شعر من يتردد على موائد الأدب ليتذوق من كل لون طعما، ويجمع هذه الطعوم ليجعل له مائدة خاصة به يدعو إليه الآكلين وكأنما يأكلون من مائدته "[36], ويعلق على احدى قصائده بقوله: "والقصيدة في غاية السبك وحسن البيان وهي من أجمل قصائده، تشبه الشعر القديم بما فيها من الروح البدوية التي تدل على أخلاق العرب من الشهامة وصدق العزيمة وعزة النفس والجلد والصبر على تحمل الالآم"[37].

وترجم له الزركلي وقال عنه:" شاعر كاتب من أهل قسطلة دراج كان شاعر المنصور أبي عامر وكاتب الإنشاء في أيامه..."[38].

ويعلق د/ محمود علي مكي على قصيدة ابن دراج التي عارض بها رائية أبي نواس في مدح الخصيب بقوله: "وقد بلغت هذه القصيدة شهرة هائلة في المشرق والمغرب حتى إنه لا يكاد يخلو كتاب من كتب المنتخبات الأدبية من بعض أبياتها ويمكن أن نفترض أن مكانة ابن دراج قد توطدت بعدها وأنه أصبح نجما من النجوم الساطعة في فلك دولة المنصور بن أبي عامر"[39].

ويثني الناقد الفرنسي (هنري بيريس) على الصور الفنية الرائعة التي يحفل بها شعر ابن دراج, ويشيد بالمعاني الغريبة التي استعملها في وصف الأزهار، وقد بلغ إعجابه بتشبيهات ابن دراج أن جعلها" مما لا مثيل له في الأدب العربي "[40], كذا فقد عده الناقد الإسباني (غرسية غومس)" من أكبر شعراء عصر الخلافة بالأندلس[41].

المبحث الثاني: الخاتمة ودورها في بناء القصيدة:

تعد الخاتمة من أخطر أجزاء البناء الفني للقصيدة, فهى القول الفصل والبصمة الأخيرة, ومسك الختام, وفيها تكثيف التجربة وخلاصتها, وحصيلة كل ما سبق من فكر ورؤى واتجاهات, وهى قاعدة القصيدة, ومعظم ما يسبقها يعد تمهيدا لها, وإن الشاعر ليضع في خاتمة قصيدته الرسالة التي من أجلها قصَّد القصيدة.

لذا وجب على الشاعر أن يوليها عنايته, لأن الإساءة فيها لا تغتفر, إذ تقضي على محاسن القصيدة, أما الإحسان فيها فيخفف مما قد يكون بالقصيدة من ضعف, والتقصير فيما قبلها مجبور بحسنها.

إن دراسة نهاية القصيدة لا يقل شأنا عن دراسة بدايتها, فكما أن للاستهلال فنياته, فكذلك للخواتيم فنياتها, والشاعر مطالب أن يبدع في أهم بيتين من القصيدة: المطلع ليجذبك إليها, والخاتمة حتى لا تنساها, ولتعيد قراءتها من جديد.

ولا شك أن خواتيم القصائد لها وقع مهم وتترك أثرا في نفس القارئ والمستمع يشبه أثر اللقمة الأطيب في آخر الطعام, وكل قصيدة تستهوينا بجمالها وروعة أبياتها ستختم– حتما – بأنفاس عبقة, وكم من درة شعرية ختمت بمسك لا نظير له.

إن الشاعر الماهر هو الذي يجيد إنهاء قصائده, ويأرق في سبيل إعداد الخاتمة إعدادا جيدا, فإن نجاحها يعني نجاح العمل الأدبي كله, كما أن الإخفاق فيها يستر ما قد سبقها من محاسن, ويحطم البناء الفني, ويقوض أركانه, وربما لا يعلق بأذن المتلقي من القصيدة غير خاتمتها, لا سيما إذا كانت من المطولات.

وقد ذكر ابن أبي الإصبع أن حسن الخاتمة "من مستخرجاته, وهو موجود في كتب غيره بغير هذا الاسم, فإن التيفاشي سماه حسن المقطع, وسماه ابن أبي الإصبع حسن الخاتمة"[(42)].

وقد أشير إلى الخاتمة في كتب النقد القديم بعديد الأسماء, فالقاضي الجرجاني يسميها (حسن الخاتمة), وتبعه في ذلك الثعالبي وابن أبي الإصبع والعلوي والتهانوي, والوليد ابن رشد يسميها (الخاتمة), وأطلق عليها ابن حجة الحموي (حسن الختام) وتبعه ابن معصوم

المدني, ويسميها الآمدي (الانتهاء), وتبعه القزويني, واستخدم ابن رشيق مصطلحي (الخاتمة) و(الانتهاء).

وأبو هلال العسكري يسميها (المقطع) ,وأطلق عليها شهاب الدين الحلبي وشهاب الدين النويري ومحمد الطاهر بن عاشور وابن تغربردي وسعد الدين التفتازاني (براعة المقطع), ويسميها التيفاشي(حسن المقطع), واستخدم حازم القرطاجنِّي مصطلحي(المقطع) و(الخاتمة), واستخدم أسامة بن منقذ مصطلحي(الأواخر) و(المقاطع), واستخدم أبو بكر شطا الدمياطي مصطلحي (براعة المقطع) و(حسن الختام), أما أبو الفتح العباسي فاستخدم المصطلحات الثلاثة (الخاتمة) و(الانتهاء) و(المقطع), وكذا استخدمها السيد أحمد الهاشمي.

وقد عدها ابن أبي الإصبع أحد فنون محاسن الكلام إلى جانب التخيير والتدبيج والتمزيج والاستقصاء,..... والافتنان والمراجعة والسلب والإيجاب وغيرها [43], أما العلوي فيجعلها بمنزلة فنون البديع بقوله:" وإن الاختتام لفن من البديع بمكان, وإنه لحقيق من بينها بالإحراز والإتقان"[44].

ويقول (شهاب الدين النويري): "وأما براعة المقطع – فهو أن يكون آخر الكلام الذي يقف عليه المترسل أو الخطيب أو الشاعر مستعذبا حسنا، لتبقى لذته في الأسماع"[45].

وقال الحلبي: " هو أن يكون آخر الكلام الذي يقف عليه المترسل أو الخطيب أو الشاعر حسنا لتبقى لذته في الأسماع"[46].

وقال أبو بكر شطا الدمياطي: "وتسمى حسن الختام وهي الإتيان في أواخر الكلام نظما أو نثرا بما يدل على التمام"[47].

يقول ابن القيم الجوزية: "أن يختم المتكلم كلامه بكلام حسن السبك بديع المعنى فإنه يبقى في الذهن ولأنه ربما حفظ من دون سائر الكلام فيتعين أن يجتهد في رشاقته وجزالته"[48].

وقد اهتم النقاد القدامى بخواتيم الأعمال الأدبية اهتماما بالغا, ودعوا إلى ضرورة تنقيحها والاهتمام بها, كما وجهوا نظر الشعراء إلى العناية بها لعظم دورها في بناء القصيدة, ولما رأوه عند شعراء الجاهلية من عدم اهتمام بها, أو حرص عليها, أو إجادة فيها, على عكس شعراء بني العباس كالمتنبي والبحتري وأبي تمام وأبي نُوَاس الذين أجادوا فيها كل الإجادة.

يقول القزويني:"ينبغي للمتكلم أن يتأنق في ثلاثة مواضع من كلامه حتى تكون أعذب لفظا وأحسن سبكا وأصح معنى الأول الابتداء..... والثاني التخلص..... والثالث الانتهاء لأنه آخر ما يعيه السمع, ويرتسم في النفس, فإن كان مختارا جبر ما عساه وقع فيما قبله من التقصير, وإن كان غير مختار كان بخلاف ذلك, وربما أنسى محاسن ما قبله"[49].

ويرى(القاضي الجرجاني) أن "الشاعر الحاذق يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص وبعدها الخاتمة, فإنها المواقف التي تستعطف أسماع الحضور وتستميلهم إلى الإصغاء ولم تكن الأوائل تخصّها بفضْل مراعاة "[50], ويقول (التهانوي): "يجب على البليغ أن يختم كلامه شعرا كان أو خطبة أو رسالة بأحسن خاتمة , حتى لا يبقى معه للنفس تشوف إلى ما يذكر بعده"[51].

وقال ابن معصوم المدني: " وهذا رابع المواضع التي نص أئمة البلاغة على التأنق فيها لأنه آخر ما يقرع السمع ويرتسم في النفس وربما حفظ لقرب العهد به فإن كان مختارا حسنا تلقاه السمع واستلذه حتى جبر ما وقع فيما سبق من التقصير كالطعام اللذيذ

الذي يتناول بعد الأطعمة التفهة, وإن كان بخلاف ذلك كان على العكس حتى ربما أنسى المحاسن الموردة فيما سبق"[52]

ويوجب (ابن حجة الحموي) على الناظم والناثر أن يحسنا في الخاتمة غاية الإحسان, لأنه آخر ما يبقى في الأسماع, وربما حفظ من دون سائر الكلام في غالب الأحوال, فلا يحسن السكوت على غيره [53].

ويرى ابن خفاجة الأندلسي" أن الشعر وأن جودة صاحبه منقسم في طرفين ووسط, وأن كلال الشاعر يظهر في الطرف الثاني, أي خاتمة القصيدة "[54], ويطلب(أسامة بن منقذ) إلى الشاعر أن" يحصل المبدأ والمقطع والخروج, فهى أصعب ما في القصيدة"[55].

وألح النقاد على ضرورة تنقيح وتجويد الخاتمة لأن "خاتمة الكلام أبقى في السمع, وألصق بالنفس لقرب العهد بها , فإن حسنت حسن, وإن قبحت قبح, والأعمال بخواتيمها, كما قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –"[56], كما أن "الخاتمة في كل شئ هى العمدة في محاسنه, والغاية في كماله "[57], "وإنما وجب الاعتناء بهذا الموضع لأنه منقطع الكلام وخاتمته, فالإساءة فيه معفية على كثير من تأثير الإحسان المتقدم عليه في النفس, ولا شئ أقبح من كدر بعد صفو و ترميد بعد إنضاج "[58].

ويضع النقاد لحسن الخاتمة شروطا منها: "أن تدل بإجماع على ما تقدم ذكره من العوائد التي وقع المدح بها "[59], وكذلك "ينبغي أن يكون آخر بيت قصيدتك أجود بيت فيها, وأدخل في المعنى الذي قصدت له في نظمها"[60].

ويقول ابن رشيق: "أما الانتهاء فهو قاعدة القصيدة, وآخر ما يبقى منها في الأسماع, وسبيله أن يكون محكما لا تمكن الزيادة عليه, ولا يأتي بعده أحسن منه, وإذا كان أول الشعر مفتاحا له, وجب أن يكون الآخر قفلا عليه وقد أربى أبو الطيب على كل شاعر في جودة فصول هذا الباب الثلاثة "[61].

ويقول ابن أبي الإصبع: "يجب على الشاعر والناثر أن يختما كلامهما بأحسن خاتمة, فإنها آخر ما يبقى في الأسماع، ولأنها ربما حفظت من دون سائر الكلام في غالب الأحوال فيجب أن يجتهد في رشاقتها ونضجها وحلاوتها وجزالتها, وقد رأيت القاضي الفاضل عبد الرحيم كثيرا ما كان يحترز في ذلك ويتوخاه , فيأتي منه بكل نكتة ترقص لها القلوب, وتغني عن النسيب في المحبوب "[62], وأردف قائلا: "وأما حسن الخاتمة في الشعر فقليل في أشعار المتقدمين، وأكثر ما عني بذلك المحدثون"[63].

أما العلوي فيرى أن "غاية حسن الخاتمة أن يعرف السامع انقضاء القصيدة وكمالها فهذه علامة حسنها ورونقها"[64], ويرى أنه "ينبغي لكل بليغ أن يختم كلامه في أي مقصد

كان بأحسن الخواتم فإنها آخر ما يبقى على الأسماع, ..., فلا جرم وقع الاجتهاد في رشاقتها وحلاوتها,وفي قوتها وجزالتها , وينبغي تضمينها معنى تاما يؤذن السامع بأنه الغاية والمقصد والنهاية "[65], ويقول حازم القرطاجني: "ينبغي أن تكون الخاتمة بمعان سارة فيما قصد به التهاني والمديح , وبمعان مواسية فيما قصد به التعازي والرثاء"[66].

ويجب أن يكون "ما وقع فيها من الكلام أحسن ما اندرج في حشو القصيدة, وأن يتحرز فيها من قطع الكلام على لفظ كريه, أو معنى منفر للنفس عما قصدت إمالتها إليه, أو مميل لها إلى ما قصدت تنفرها عنه ..... ويجب أن يكون اللفظ فيها مستعذبا والتأليف جزلا متناسبا فإن النفس عند منقطع الكلام تكون متفرغة لتفقد ما وقع فيه غير مشتغلة باستئناف شيء آخر"[67].

ويقول أبو هلال العسكري: "وقلما رأينا بليغا إلا وهو يقطع كلامه على معنى بديع, أو لفظ حسن رشيق"[68], ويرى القزويني أن "أحسن الانتهاءات ما آذن بانتهاء الكلام"[69].

ويقول أسامة بن منقذ: "وكذلك ينبغي أن تكون أواخر القصائد حلوة المقاطع, توقن النفس بأنه آخر القصيدة, لئلا يكون كالبتر "[70], ويرى الحلبي ضرورة "أن يكون آخر الكلام الذي يقف عليه المترسل أو الخطيب أو الشاعر مستعذبا حقا "[71].

أما الهاشمي فيرى أن حسن الانتهاء يتحقق بأن "يجعل المتكلم آخر كلامه عذب اللفظ, حسن السبك, صحيح المعنى , مشعرا بالتمام, حتى تتحقق براعة المقطع بحسن الختام "([72]), ويرى بدوي طبانة أن "أحسن الانتهاء ما أعلم بأن الكلام الذي جعل ذلك آخره قد انتهى والإشارة إلى الانتهاء بأن يشتمل ما جعل آخرا على ما يدل على الختم ولفظ الانتهاء ولفظ الكمال وشبه ذلك مما ذكر في براعة المقطع من دعاء وسلام"[73].

ليس غريبا – إذن – أن تكون الخاتمة إحدى وسائل المفاضلة بين الشعراء, فقد ذكر أبو عبيدة أن جماعة من النقاد فضلوا النابغة الذبياني على جميع الشعراء لجملة أسباب, منها أنه "أجودهم مقاطع "[74], وكان القاضي الجرجاني يفضل أبا تمام والمتنبي على البحتري في التخلص والخاتمة[75].

ويرى ابن طيفور أن معلقة طرفة ضمت إلى المعلقات لاحتوائها على خاتمة بليغة[76], ويشيد الشريشي بأبي تمام لروعة خواتيمه[77] وكان(شبيب بن شيبة) يقول: "الناس موكلون بتفضيل جودة الابتداء وبمدح صاحبه, وأنا موكل بتفضيل جودة المقطع وبمدح صاحبه"[78].

كما أنه ليس غريبا أن يذيع صيت الشاعر ويشتهر لاهتمامه بخواتيم أعماله , " قيل لبعض الحذاق بصناعة الشعر: لقد طار اسمك واشتهر؟ فقال: لأني..., وقرطست نكت الأغراض بحسن الفواتح والخواتم ولطف الخروج "[79] وصدق كشاجم حين قال[80]:

وإذا افتتاحُ الأمرِ راقَكِ حُسْنُهُ فتبيّني ماذا تكونُ الخَاتِمَهْ

وثمة مجموعة من الخواتيم اتفق جل النقاد والبلاغيين على أنها الخواتيم الأروع والأفضل منها خاتمة معلقة طرفة بن العبد:

سَتُبْدِي لكَ الأيامُ ما كنتَ جاهِلاً ويأْتِيكَ بالأَخْبارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ
ويأْتِيكَ بالأَنْبَاءِ مَنْ لَمْ تَبِعْ له بَتاتاً، ولَمْ تَضْرِبْ له وَقْتَ مَوْعِدِ
لعَمْرُكَ ما الأيّامُ إلاَّ مُعارَةٌ فما اسْطَعْتَ مِن مَعْروفِها فَتَزَوَّدِ
عن المَرْءِ لا تَسْأَلْ وأَبْصِرْ قَرِينَهُ فإنَّ القَرِينَ بالمُقارَنِ مُقْتَدِي .

وقول تابَّط شرًا:

لتقرعنَّ عليَّ السنَّ من ندمٍ إذا تذكَّرتَ يوما بعضَ أخلاقي

وقول أبي زبيد الطائي:

كلُّ شئ تَحتالُ فيه الرِّجال غير أنْ ليسَ للمَنايا احْتيال

وقول ابن الزبعرى:

فخذ الفضيلة عن ذنوب قد واقبل تضرع مستضيف تائب

وقول بشر بن أبي خازم :

ولا يُنجِي من الغمراتِ إلا بُراكاءُ القتالِ أو الفرارُ

ومن شعراء العصر العباسي استجيد لأبي نواس عدد من الخواتيم منها قوله:

فبقيتَ للعلمِ الذي تَهْدِي له وتَقَاعستْ عنْ يومِك الأيامُ

وقوله:

وإنِّي جديرٌ إذ بلغتُكَ بالمُنى وأنتَ بما أملتُ فيكَ جديرُ
فإن تُولِني منك الجميلَ وإلا فإني عَاذِرٌ و شكورُ

وقوله في خاتمة قصيدة مدح بها الخصيب عامل مصر:

أنت الخصيب وهذه مصر فتدفقا فكلاكما بحر
لا تعقدا بي عن مدى أملي شيئا فما لكما به عذر
ويحق لي إذ صرت بينكما ألا يحل بساحتي فقر

وقوله للعباس بن الفضل بن الربيع :

إليك غدت بي حاجة لم أبح بها أخاف عليها شامتا فأداري
فأرخ عليها ستر معروفك الذي سترت به قدما على عواري

واستجاد النقاد لأبي تمام مجموعة من خواتيمه منها خاتمة قصيدة اعتذر بها إلى ابن الهيثم:

أأقنع المعروف وهو كأنه قمر الدجى إني إذا للئيم
مثر من المال الذي ملكتني أعناقه ومن الوفاء عديم
فأروح في بردين لم يلبسهما قبلي فتى وهما الغنى واللوم

و خاتمة القصيدة التي ذكر فيها فتح عمورية:

إن كان بين ليالي الدهر من رحم موصولة وذمام غير منقضب
فبين أيامك اللاتي نصرت بها وبين أيام بدر أقرب النسب
أبقت بني الأصفر الممراض صفر الوجوه وجلت أوجه العرب

وخاتمة قصيدة استعطف بها ابن الزيات:

أكابرنا عطفا علينا فإننا بنا ظمأ برح وأنتم مناهل

وخاتمة قصدية اعتذر فيها إلى موسى بن إبراهيم الرافقي:

فإن يك ذنب عن أوتك هفوة على خطإ مني فعذري على عمد

وخاتمة قصيدة خاطب بها مالك بن طوق:

لا توقظوا الشر عن قوم فقد غنيت دياركم وهي تدعي زهرة النعم

هذا ابن خالكم يهدي نصيحته من يتهم فهو فيكم غير متهم

أما المتنبي فله مجموعة من الخواتيم مشار إليها بالبنان, ممدوحة بكل لسان منها:

وأعطيت الذي لم يعط خلق عليك صلاة ربك والسلام

وقوله في خاتمة قصيدة من السيفيات:

فلا حطت لك الهيجاء سرجا ولا ذاقت لك الدنيا فراقا

وقوله في خاتمة أخرى من السيفيات:

لا زلت تضرب من عاداك عن عرض يعاجل النصر في مستأخر الأجل

وقوله أيضا لسيف الدولة وقد ذكر الخيل:

فلا هممت بها إلا على ظفر ولا وصلت بها إلا إلى أمل

وقوله فيه أيضا:

أخذت على الأرواح كل ثنية من العيش تعطي من تشاء وتحرم

فلا موت إلا من سنانك يتقى ولا رزق إلا من يمينك يقسم

وقوله:

قد شرَّف الله أرضا أنت ساكنها وشرَّف الناس إذ سوَّاك إنسانا

وقوله في خاتمة القصيدة التي هنأ بها أبا وائل بخلاصه من الأسر:

فذي الدار أغدر من مومس وأخدع من كفة الحابل
تفانى الرجال على حبها ولا يحصلون على طائل

وقوله في خاتمة قصيدة ودع بها ابن العميد:

فجد لي بقلب إن رحلت أخلف قلبي عند من فضله عندي
فلو فارقت جسمي إليك لقلت أصابت غير مذمومة العهد

المبحث الثالث: أنماط الخواتيم في شعر ابن دراج:

1 – الدعاء:

لجأ ابن دراج إلى الدعاء ليختم به عددا من قصائده, دعا للممدوح وأبنائه وولاة عهده, ودعا للمرثية, ودعا على أعداء الممدوح, وعلى المهجو, ويمثل الدعاء سبيلا سهلا لختم القصيدة, وهو كثير الورود في خواتيم الشعراء كبارهم وصغارهم , قديمهم وحديثهم.

في قصائده التي ختمها بالدعاء للممدوح تعدد ما يدعو به, فحينا يدعو بالسلامة كقوله يدعو ليحيى بن المنصور أبي عامر[81]:

فاسْلَمْ ولا زالَتْ قُصورُكَ للمُنى مقصودَةً وسِهامُ عزمِكَ قاصِدَهْ
تُصْمِي بِسَعْيِكَ كُلَّ أَنْفٍ شامِخٍ قَهْرا وتَفْقَأُ كُلَّ عينٍ حاسِدَهْ
واسْلَمْ وَلا نَقَصَتْ لِدَهْرِكَ ساعَةٌ إِلّا وكانت فِي بقائِكَ زَائِدَهْ

وحينا يدعو بالنصر والسلامة كقوله يمدح منذرا بن يحيى حين قدومه على سرقسطة وهو حينئذ حاجب سنة 408هـ[82]:

وانصُرْ نُصِرتَ من السماءِ ناسَبتَ أَنصارَ النَّبيِّ لِتُنصرا
واسْلَمْ ولا وَجدوا لِجوِّكَ فِي النَّائِباتِ ولا لِبَحرِكَ مَعبرا

ويدعو للمنذر بن يحيى بالسلامة وطول العمر والنصر على الأعداء[83]:

فاسْلَم وكُنْ للأَرْضِ آخِرَ عامِرٍ ولغالِبِ الأَعْدَاءِ أَوَّلَ غَالِبِ

وحينا يدعو بعلو القدر وطول العمر وبقاء الذكر وتمام النصر ودوام الملك كقوله يمدح منذرا بن يحيى حين قدم عليه الأمير ابن ميرة سرقسطة[84]:

فالله يُعْلِي قَدْرَهُ ويَزِيدُهُ صُنعا ويُنْسِئُ عُمْرَهُ ويُطِيلُهُ

في عِزِّ نَصْرٍ لا زَمَانَ يَخُونُهُ وبقاءِ مُلْكٍ لا مُدِيلَ يُديلُهُ

ويهنئ المنصور بن أبي عامر حين أسر ابن فرذلند بقصيدة همزية يدعو له في ختامها بطول العمر وتحقيق الأماني ودوام السرور[85]:

فأَسْأَلُ من بَرَاهُمْ للمنايا بسيفِكَ أَن يَخُصَّكَ بالبقاءِ

قريرَ العَيْنِ مشفوعَ الأَمانِي سعيدَ الجَدِّ محبورَ الثَّوَاءِ

لِمُلْكٍ لا يُراعُ بِرَيْبِ دَهْرٍ وسَعْدٍ لا يحورُ إِلَى انقضاءِ

وفي ختام بعض مدائحه يضيف للدعاء للممدوح الدعاء لابنه وولي عهده فقد دعا للمنصور وولديه عبد الملك وعبد الرحمن في ختام مدحة للمنصور قائلا[86]:

ومثلها قصيدته الحائية في مدح المنصور عند أوبته من سرقسطة والثغر الأعلى فقد ختمها بالدعاء له وولديه[87]:

فَعِشْ ودُمْ وابْقَ واملِكْ واقتَبِلْ نِعَما واحلُلْ منيعا من المكروهِ مُنْتَزِحا

وقَرَّ عينا بِسِبْطَيْ حِمْيَرٍ حِقَبا مُستوفِيا فيهما آمالَكَ الفُسُحا

ويمدح المظفر عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر حين قتل عيسى بن سعيد ويدعو له في ختامها بطول العمر وبلوغ المنى حتى يقر عينه برؤية ولده وقد ساد قومه[88] :

فابلغ مناك فإن غايات المنى للمسلمين بأن تنال مناكا

حتى ترى النجل المبارك رافعا علم السيادة جاريا لمداكا

ويريك في شبل المكارم والبر أفضل ما أريت أباكا

وعلى نفس المنوال يختم مدحة للمنصور بن أبي عامر بالدعاء له وولده [89]:

ويا قُطْبَ العُلا مُلِّيتَ نُعْمى تَمَلّاها بقُرْبِ الفَرْقَدَيْنِ
فَقُرَّةُ أَعيُنِ الإِسلامِ أَلّا تزالَ بمَنْ وَلَدْتَ قَريرَ عَيْنِ

ويختم مدحة لمنذر بن يحيى حين قدم عليه أبو العلاء صاعد البغدادي بالدعاء له ولابنه وولي عهده يحيى راجيا لهما طول البقاء وتحقيق الآمال[90]:

ويا حَلْبَةَ الآمَالِ زِيدِي عَلَى المَدى بَقَاءَ ابْنِ يَحْيَى ثُمَّ حَيِّي عَلَى يَحْيى

وأحيانا يختم مدحته بالدعاء للممدوح وأخيه فقد ختم داليته في مدح المظفر عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر بالدعاء له وأخيه عبد الرحمن[91]:

فلا زِلتَ للإسلامِ سَيفا وصِنوُكَ رُكنا للثُغورِ شَديدا
تُنادِمُهُ كأسَ الوفاءِ فإن غَدَا بعيدا فما مثواهُ مِنكَ بَعِيدا
فَمُلِّيتُما نُصحا يعودُ بغبطَةٍ وألهِمتُما حَمدا يقودُ مَزيدا

وأحيانا يختم مدحته بالدعاء للممدوح يتلوه مدح أبنائه, ففي ختام بائيته في مدح المنصور يدعو له بطول العمر والسعادة والسلامة وتمام النعمة[92]:

وصل الإله لديك عمرا يقتضي أمد السنين ومدة الأحقاب
ولك السرور مضاعفا أيامه ولك النعيم مجدد الأثواب
واسلم لسبطيك اللذين تملكا رق السناء تملك الأرباب

ثم عرج على مدح ولديه عبد الملك وعبد الرحمن والإشادة بهما كل في مجال إبداعه[93]:

السابقين إلى مقامات العلا ذا في الحروب وذاك في المحراب
الحاجب الأعلى الذي زهيت رتب العلا ومفاخر الأحساب
سيف الإله وحزبه المفني به شيع الضلال وفرقة الأحزاب

إن هذه الأمور التي يدعو بها لممدوحيه من سعادة وسرور وبقاء وطول عمر والعيش في نعمة وسلامة لا تنطوي على قيمة معنوية جديدة أو خطيرة, لأنها مما يجري على الألسنة صباح مساء, لدى الشعراء وغير الشعراء.

ويختتم ابن دراج بعض مدائحه بالدعاء للممدوح, يتلوه بيان السبب, ففي قوله في ختام مدحة لمنذر بن يحيى[94]:

فلا عدِمَ الإسلامُ رغْيَكَ لا يَني ولا أَمِنَ الإشراكُ بأْسَكَ لا يُرْعِ
ولا زالَت الأَعيادُ عائِدَةً لَنَا بمُلكِكَ مَا عادَ الحَمامُ إِلَى السَّجْعِ
ولا أُخلِيَتْ منكَ المُصَلَّى بمشهَدٍ شهيدٍ عَلَى مَا أَتقنَ اللهُ من صُنْعِ
ولا أَوْحَشَتْ ذكراكَ أَعوادَ منبَرٍ بداعٍ لَكَ الرحمنَ فِيهَا ومُسْتَدْعِ
ولا رَدَّ مَنْ أَعلاكَ لي فيكَ دعوةً تجلَّى إِلَيْها من سَماوَاتِهِ السَّبْعِ
بما رِشْتَ من سهمِي وأَيَّدْتَ من وجلَّيْتَ من ضَرِّي وأَدْنَيْتَ من نَفْعِي
فأَصبحَ حَمدِي فيكَ ملتحِمَ السَّدى كَمَا راح شملي فيك ملتئِمَ

يدعو له بدوام الملك وطول العمر وغيرها, والسبب عطاياه التي أعيت على العد, ولم تقف عند حد.

وفي قوله للمظفر عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر[95]:

وأَنْ تَسْألوا اللهَ طُولَ لِعَبْدِ المَلِيكِ مَليكِ العَرَبْ
فلولا مَحاسِنُهُ لَمْ تَرُقْ ولولا شمائِلُهُ لَمْ تَطِبْ

يدعو للمظفر بالبقاء لأن بقاءه يعني بقاء جميل الصفات وجليل الشمائل.

ويدعو ليحيى بن منذر بحسن الجزاء وجميل الستر نظير إحسانه إليه وإيوائه له [96]:

فجازَاكمُ اللهُ عن سَتْرِنا بأَفْضَلِ مَا جُوزِيَ المُحْسِنُونا
وآواكُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ مُقارَضَةً حِينَ آوَيْتُمونَا

وعلى هذه الشاكلة يبدو قوله لمبارك ومظفر صاحبي بلنسية وقد دعيا إلى زيارة ولاية طليطلة[97]:

فآواكُما ذُو العَرْشِ فِي ظِلِّ ولا حَلَّ عَقْدَ النَّصْرِ منهُ عَلَيْكُما
جَزَاءً لما أَوْلَيْتُما وكَفَيْتُما وآوَيْتُما من غُرْبَةٍ وكَنفْتُما

يدعو لهما بالعيش الآمن والنصر الدائم لأنهما أمناه بعد خوف وأطعماه بعد جوع, وأرخيا عليه جناح القرب وستار الود.

ويختم الشاعر بعض مدائحه بالدعاء للممدوح يتلوه طلب الصلة والعطية والنوال, إما تصريحا كقوله في ختام مدحة لمنذر بن يحيى في عيد أضحى[98]:

فاسلَمْ لهمْ وليَهْنِهِمْ منكَ ولْيَهْنِكَ الأَملُ البعيدُ ويَهْنِنا
ولتَفْدِ نفسَكَ يَا مُظَفَّرُ أَنفُسٌ مِنَّا متى تَغْلِقْ بِرَهْنٍ تفدِنا
بنَدىً إِذَا غَصَّ الغمامُ يَعُمُّنا ويدٍ إِذَا شعِثَ الزمانُ تلُمُّنا
فالله يعصِمُها ويعصِمُنا بِهَا ويقِي البلادَ بِهَا ويفديها بِنا

وإما تلميحا كقوله يمدح المهدي محمد بن عبد الجبار[99]:

فاغلِبْ ولا تَزَلِ الخلافةُ والهدى من سعدِ جَدِّكَ فِي سلاحٍ شاكِ
واشرب بأَكواسِ السرور وسَقِّها رِفْهاً مدى الأَيَّامِ هاتِ وَهاكِ
وأَنا الشريدُ وظلُّ عِزِّكَ مَوئلي وأَنا الأَسيرُ وَفِي يديكَ فِكاكي
أَدَبٌ أَضَاءَ المشرقَيْن وتحتَهُ حظٌّ يَئِنُّ إليك أَنَّةَ شاكِ .

ومثلما ختم ابن دراج كثيرا من مدائحه بالدعاء للممدوح, نراه يختم بعض مراثيه بالدعاء, من ذلك قصيدته الهمزية في رثاء السيدة أم هشام المؤيد بالله , ففي ختامها دعا المؤيد بالله إلى العزاء والسلو, ودعا له بالبقاء والعمر الطويل والثواب الجزيل[100]:

عزاءٌ إمامَ الهُدى فالنُّفو سُ مَا إِنْ سِواكَ لَهَا مِن عَزاءِ
وَعُوِّضْتَ منها جزيلَ الثَّوابِ وَمَدَّ لَكَ اللهُ طُولَ البقاءِ

وفي قصائده التي خصصها للرثاء وتقديم العزاء جمع في ختامها الدعاء للمرثي إلى جانب الدعاء للمعزى, فحين مات ابن صغير ليحيى بن منذر عزاه ابن دراج بقصيدة عينية دعا في ختامها للابن بالرحمة ولأبيه بطول العمر وطيب العيش[101]:

وفي ذِمَّةِ اللهِ أصْلٌ كريمٌ يُسكِّنُ من فقدِ بعضِ الفُرُوعِ
بِطُولِ بقاءٍ يَفي بالزَّمانِ وصَفْوِ حياةٍ تَفي بالجَميعِ

كذا ختم ابن دراج مرثيته لمنذر بن يحيى بالدعاء لابنه يحيى[102]:

فلا فَضَّنا دهرٌ وأَنتَ تلُمُّنا ولا مَضَّنا جُرْحٌ ويمناكَ تَأْسُوهُ
ولا وُقِيَ الإشراكُ مَا مِنْكَ يُتَّقى ولا عَدِمَ الإسلامُ مَا منكَ يرجُوهُ

ومعلوم أن الدعاء لذوي الميت تقليد فني شاع لدى شعراء المشرق ولا شيء أفضل من الدعاء لهم بالبقاء وطول العمر ففي بقائهم بقاء نوالهم ودوام عطائهم.

كذا ختم بعض قصائده الوصفية بالدعاء من ذلك قصيدته الميمية التي وصف فيها حماما شيده منذر بن يحيى, فقد ختمها بالدعاء له أن يدوم تنعمه بهذا الحمام[103]:

فانعَمْ بِهِ وبكُلِّ زَهْرَةِ عِيشَةٍ مَا غَرَّدَتْ فَوْقَ الغصونِ حَمَامُ

كما ختم رائيته التي وصف فيها شراعا صنعه منذر بن يحيى بالدعاء له بالبقاء مع السرور والعزة [104]:

فالله يُمْلي له الليالي فِي عزِّ ملكٍ وطولِ عُمرِ

ويمزج ابن دراج بين الدعاء للممدوح والدعاء على أعدائه في ختام بعض قصائده, من ذلك قوله في ختام إحدى مدائحه[105]:

فلا زالَ دينُ اللهِ منكَ بِمَعْقِلٍ منيعٍ وسَمْكُ الحقِّ منكَ عَلَى أُسِّ
ولا رَمَتِ الأَقدارُ عنكَ بأَفْوَقَ مفلُولِ الغِرارِ ولا نِكْسِ
ولا ماتَ من والاكَ من غُرْبَة ولا عاشَ من عاداكَ من عَثْرَةِ

ونونيته في مدح منذر بن يحيى, وختمها بقوله[106]:

فَلْتَهْنِكمْ نِعمةٌ يحيا السُّرورُ بِهَا وغبطةٌ حانَ فِيهَا يومُ مَنْ حانا

ففازَ بالعِزِّ من نادى بِبَيْعَتِكُمْ وبَاءَ بالخِزْيِ هَيَّانُ بنُ بَيَّانا

و داليته في مدح منذر بن يحيى عند انصرافه عن بنبلونة وختمها بالدعاء أن يزيل أعداءه ويضاعف أنصاره[107]:

فاللهُ ينقُصُ من أَعدائِه أَبدا ويستَزيدُ من الإِسلامِ فِي عَدَدِهْ

وميميته في مدح المنصور بن أبي عامر حين ورد عليه القومس بن غومس على إثر إيقاعه به[108]:

واسْلَمْ ولا بَرِحَتْ فيهمْ لَنَا نِقَمٌ تَتْرى بِهِمْ ولكَ الآلاءُ والنِّعَمُ

ويدعو لمنذر بن يحيى أن يرزق البقاء وطول العمر في ظل السلامة متمنيا الغلبة والنصر للموالين والقهر والهزيمة للمعادين[109]:

فاللهُ يَرْزُقُنا بقاءَكَ سالِما رِزْقا نُوَفَّاهُ بغيرِ حِسابِ

وانْصُرْ وَمَنْ والاكَ حِلْفُ كَرَامَةٍ واقْهَرْ ومَنْ عَادَاكَ رَهْنُ تَبابِ

خمسون قصيدة ختمها البحتري بالدعاء, وأكثرها دعاء لممدوحيه من الأمراء والحجاب والقواد, وولاة العهد, ولِمَ لا يدعو لهم وقد رفعوه من قعر التراب إلى سمك السحاب, وأنقذوه من الحضيض الأوهد إلى السناء الأمجد, أغنوه بعد فقر, وكسوه بعد عُري, وأمَّنوه بعد خوف, "وقد كره الحُذَّاق من الشعراء ختم القصيدة بالدعاء لأنه من عمل أهل الضعف, إلا للملوك لأنهم يشتهون ذلك "[110].

كذا دعا لمرثييه, ولم يفته أن يدعو على مهجويه وأعداء ممدوحيه, وختم بالدعاء قصائد في المدح والرثاء والتهنئة ,والوصف, وتراوح عدد أبيات هذا اللون من الخواتيم ما بين بيت واحد إلى ثمانية أبيات.

2 – طلب الجائزة:

كثيرا ما عمد ابن دراج في ختام قصائده إلى استمطار نائل الممدوح وطلب المكافأة منه, تصريحا حينا وتلميحا حينا آخر.

فمن النوع الأول ختام بائيته في مدح المنصور أبي عامر[111]:

فَلْيَشْكُرِ اللهَ يَا مَنْصورُ مِنكَ يَدا كَشَفْتَ عَنِّي بِهَا الأَحزانَ والكُرَبا
وطالَمَا لاذَتِ الدُّنيا بِحِقْوِكِ مِنْ خَطْبٍ أَلَمَّ فَكُنْتَ المَعْقِلَ الأَشِبا
وكيفَ يُخلِفُ مِنكَ الظَّنُّ مَا رَغِبا أَوْ يُعْوِزُ المَجْدَ فِي كَفَّيْكَ مَا طَلَبَا
وَقَدْ غَدَوْتَ لآمالِ الوَرى أَمَدا وَقَدْ غَدَوْتَ لأَفلاكِ العُلا قُطُبا
وأَنْتَ بَحْرُ الندى لَمْ يَأْلُ أَنْ عَذُبا وأَنتَ حِزْبُ الهُدى لَمْ يَعْدُ أَنْ غَلَبا

وختام ميميته في مدح منذر بن يحيى[112]:

وَقَدْ نَبَذَ الأَنامَ بكلِّ أرضٍ إِلَيْكَ إِلَيْكَ يَا خَيْرَ الأَنامِ
ومَنْ ذا يَا مليكا مُسْتَجارا سِواءَكَ للغريبِ المُسْتَضَامِ
فإِنْ هاجَ الرحيلُ دفينَ سُقْمِي فكَمْ دافَعْتَ من ذَاكَ السَّقامِ
وإِن أَذْمُمْ عوائِدَ لؤمِ دهري فَحَيّ عَلَى عوائِدِكَ الكرامِ

وختام هائيته في مدح المنصور أبي عامر[113]:

يا ثِمالَ العُفاةِ يَا مَلِكَ الدُّنْ يا ومن فازَ بالغِنى آمِلُوهُ
قَدْ حَبانِي دَهْرِي بِإدراكِ دَهْرٍ مَا بِهِ ناجِهٌ ولا مَنْجُوهُ
لو حَبانِي بذاكَ عَصْرُ شبابِي لَرآنِي عَلَى العبادِ أتِيهُ
ورجائِي مَا قَدْ عَلِمْتَ وثنائِي فِي الناسِ مَا
غيرَ أَنَّ الزمانَ ثَقَّل ظهري فَهْوَ ثِقْلٌ عليَّ صعبٌ كريهُ
ولَعَمْرِي مَا لي سِوى المَلِكِ صُورِ فِي الأَرضِ سَيِّدٌ

ومن النوع الثاني ختام قصيدته في مدح المظفر عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر[114]:

فكأنما استيقنت مالك في من طاعة ونصيحة فجزيتني
وعلمت أني في وفائك سابق فسبقت بالنعم التي وفيتني
فلو أن آمالي بقربك ما قلت بعد بلوغها يا ليتني
حتى أقبل كلما قابلتها كفا بجود عطائها أحييتي

ويختم داليته في مديح المنصور بن أبي عامر وتهنئته بعيد الأضحى بطلب النوال تلميحا[115]:

فلا زَالَتِ الأَيَّامُ أَعيادَ فضلِكُمْ لكُلِّ مُوالٍ خالِصِ الشكرِ حامِدِ
ولا زِلْتُمُ مأْوَى غريبٍ وآمِلٍ ومَفْزَعَ ملهوفٍ وفُرْصَةَ قاصِدِ

ويختم نونيته الشهيرة في مدح خيران العامري باستمطار نائله قائلا [116] :

ولله منا أهل بيت رمتهم إلى يدك العليا بحور وبلدان
وكلهم يزهي على الشمس في وبدر الدياجي أنهم لك جيران
وقد زاد أبناء السبيل وسيلة وحلوا فزادوا أنهم لك ضيفان
فما قَصَّرَتْ بي عن عُلاكَ شفاعَةٌ ولا بِكَ عن مِثلي جَزَاءٌ

وعلى الرغم من شهرة هذه النونية التي سار بذكرها الركبان وحلت بكل مكان, إلا أن خيران قد بخس ابن دراج حقه في الجائزة, وبلغ الخبر أبا جعفر بن جواد الطبيب فمنح الشاعر خمسة عشر مثقالا وقال له: اعذر أخاك فإنه في دار غربة, وقد سارت فعلة خيران مضرب مثل وموضع تندر و بقي صداها يتردد أزمانا في الأندلس، حتى لنرى الفقيه عمر الزجال يقول لممدوحه[117]:

فلا تنس من أهل ودك إنني أخاف الليالي أن تطوف فتنساني
و لا خير أن تجعل كفاء كفاء ابن دراج على مدح خيران

وإذا كان ابن دراج – في النماذج السابقة – لم يفصح عن حاجته, ولم يحدد مطلبه من الممدوح, فإن له قصائد ختمها بطلب الصلة مع تحديدها.

فقد مدح بعض الوزراء بقرطبة بقصيدة ختمها بطلب بعض ما عنده من جواهر وذهب وفضة[118]:

فالحَمْدُ للهِ راحَ الغُصْنُ مُعْتَلِيا والسيفُ مُنْصَلِتا والبَدْرُ مُتَّسِقا

مَنَّاً منَ اللهِ والمولى الَّذِي مَطَرَتْ سماؤُهُ الدُّرَّ بَلْهَ التِّبْرَ والوَرِقا
مُسْتَيقِنا أَنَّ شَمْلَ المُلْكِ مُجْتَمِعٌ يوما إِذَا كَانَ شملُ المالِ مُفْتَرِقا

ويطلب في ختام إحدى مدائحه المزيد من البر والبر أي القمح[119]:

وزد فعالك قدرا إذ زادك الله قدرا
فقد طلعت هلالا واليوم أمسيت بدرا
فكيف أرضاك بحرا كما رضيتك نهرا
وكيف يجري جواد كما جرى قبل مهرا
وقد بدأت ببر فأتبع البر برا
وزد على الباء يرفع لك الله ذكرا

ويمدح يحيى بن منذر بقصيدة يطلب في آخرها المزيد من النعم [121]:

فلا بَرِحَتْ نِعَمُ اللهِ لَدَيَّ مُفَجَّرَةً من يَدَيْكا

وفي ختام مدحة لابن أزرق الكاتب يعمد إلى طلب النوال مستشفعا بالمودة بينهما, والجوار الذي كان يجمعهما[122]:

فَذَكِّرْ وَادَّكِرْ جِيرانَ بَيْتٍ بِبَيْتٍ فِيهِ للكَرَمِ اقْتِداءُ
وفيهِ للنُّهى حَكَمٌ وحُكْمٌ وللنُّعمى قضاءٌ واقْتِضاءُ
إِذَا نَزَلَ الشتاءُ بِجارِ بَيْتٍ تَجَنَّبَ جارَ بَيْتِهِمُ الشِّتاءُ

إن المتتبع لهذا اللون من الخواتيم عند ابن دراج ليلحظ تناسبا بين ما يطلبه الشاعر مع الفترة الزمنية التي قيلت فيها القصيدة وبالتالي مع الممدوح المخاطب بالقصيدة, فما طلبه في قصائده في فترة حكم العامريين (المنصور بن أبي عامر وولده عبد الملك), يختلف عما طلبه في ظل حكم التجيبيين (منذر بن يحيى وولده يحيى), يختلف عما طلبه من ممدوحيه في السنوات الثماني العجاف التي مرت به بعد غروب شمس العامريين وقبل استقراره في ظل وكنف التجيبيين.

في قصائده التي خاطب بها العامريين كان ينعم بطيب العيش فطلب المزيد, يقول للمنصور أبي عامر وقد فصل لبعض مغازيه[123]:

لا أَقتدِي بالخالِفينَ ولا أُرى أَسعى لِنَيْلِ رِضاكَ فِي أَدْنى
حَتَّى تَبَيَّنَ كَيْفَ أَثمارُ النَّدى عندي وتَبْلُوَ كَيْفَ شكري
ويُريكَ صدقُ موارِدِي إِبْطالَ مَا اختلَقَ الحسودُ وَمَا
ولعلَّ من يقضِي الأُمورَ بِرِضاكَ من صَرْفِ الزمانِ

ويقول للمظفر عبد الملك بن المنصور[124]:

وقد أفطر الإسلام والسيف وعلت ظماء والرماح نواهل
فأورد صواديها فقد طاب مشرع وقد حان مأكول وقد حن آكل
فما أنت إلا الشمس تطلع فظلهم حتما بنورك زائل
كرمت فما يعيا بحمدك مفحم وسدت فما يغبى بقدرك جاهل
وجودك في سلم وبأسك في بحور طوام ما لهن سواحل
فلا خذل الرحمن من أنت ناصر ولا نصر الرحمن من أنت خاذل

وبعد زوال دولتهم أدبرت عنه الدنيا وقلبت له ظهر المجن فطلب ما يسد جوعه ويستر جسده وبنيه, مصورا نفسه بالأسير تارة وبالغريق أخرى[125]:

ومالِيَ لا أختارُ قُربَكَ بادِيا وأنتَ من الدَّهرِ الخيارِ خِيارُهُ
ومَنْ ذا لداعٍ لا يُجابُ دُعاؤُهُ سِواكَ وعانٍ لا يُفَكُّ إسارُهُ
ومهوى غَريقٍ لا يُرَّجى غِياثُهُ وعاثِرِ جَدٍّ لا يُقالُ عِثارُهُ
ألا عَزَّ من أبَدى إليكَ خُضُوعَهُ وحازَ غِناهُ من إليكَ افتقارُهُ

وعندما رحل إلى سرقسطة طلب من التجيبيين– وقد ضاقت به الأرض بما رحبت– البقاء عندهم والعيش في كنفهم, فقد كان الشاعر مشردا يبحث عن مأوى, وينقب عن منجى, يلاطم أمواج الفقر, ويصارع تيار الذل, يقول لمنذر بن يحيى في ختام مدحه[126]:

ولَحَقُّ مَنْ أَبْقى ثَناءَكَ فِي الوَرى أَنْ تَسْتَقِرَّ بِهِ لَدَيْكَ الدَّارُ

ويخاطبه في ختام أخرى [127]:

رَبّا بنصرِكَ عائدا ومُوَالِيا ولِطُولِ عُمْرِكَ واهِبا
وكَفى بِمَنْ آوى إِلَيْكَ قَلِقَ الرِّكائِبِ فِي البِلادِ

حَتَّى يَرى البُؤْسى غُرَابا بَنَدَاكَ والضَّرَّاءَ عَنْقا مُغْرِبا

خمس وعشرون قصيدة[128]ختمها ابن دراج بطلب الصلة والنوال, ما بين التصريح والتلميح , يُحدد مطلبه حينا, وحينا لا يُحدد, وسكن هذا النوع خواتيم مديحه, وامتد نفسه في بعض خواتيم هذا اللون فوصل إلى ستة أبيات.

3 – الحكمة:

حرص ابن دراج على ترصيع خواتيم عدد من قصائده بالأمثال السائرة والحكم الواعظة , إيمانا منه بأن الحكمة تأتي مع نهاية التجربة الإنسانية لتلخصها وتختزل الرحلة, وتعطي الدرس والعبرة .

وما أكثر الشعراء الذين ختموا قصائدهم بالحكمة, ويأتي في مقدمتهم زهير بن أبي سلمى الذي ختم بها معلقته, كذا ختم طرفة بن العبد معلقته بها.

وورود الحكمة في شعر ابن دراج له ما يبرره, فالشاعر أحد المعمَّرين, كثير التنقل والترحال, عاش في عصر يموج بمختلف ألوان العلوم والثقافات والصراعات, مر بتجارب عديدة, وأكثرها تجارب مريرة تعامل مع كافة أصناف البشر من مختلف الأجناس والطبقات

وقد سكنت الحكمة خواتيم مراثي ابن دراج ومدائحه وتهانيه, فمن مراثيه التي ختمها بالحكمة عينيته في رثاء بعض الفقهاء[129] :

وأَكرَمُ الغَيْثِ غَيْثٌ عادَ مُنتَجِعا من لَمْ يزَلْ لِلنَّدى والجُودِ يُنْتَجَعُ

ولا شك أن ورود الحكمة في خواتيم قصائد الرثاء أمر طبيعي كثر مجيئه في شعر الشعراء فقد ختم لبيد بن ربيعة قصيدته العينية في رثاء أخيه أربد بالحكمة [130] , وبالحكمة كذلك ختم أبو ذؤيب الهذلي قصيدته في رثاء أبنائه.

ومن مدائحه التي ختمها بالحكمة قوله في ختام مدحته لابن باق[131]:

ومن يَمْنَعِ الضَّيفَ رَحْبَ فقد قادَهُ للفضاءِ الرَّحِيبِ

ولشاعرنا مدائح لم تستغرق خاتمة الحكمة فيها أكثر من نصف بيت فقد ختم ابن دراج داليته لمنذر بن يحيى بقوله[132]:

لئِنْ غَلَبتْ مناقِبُكمْ لِساني فإنَّ العُذْرَ من بعضِ السِّدادِ

كذا ختم لاميته في مدح المنصور بن أبي عامر وقد برز لبعض صوائفه قائلا[133]:

ونفيسَةٍ أَقْحَمْتَ نفسَكَ إنَّ النفائِسَ بالنفوسِ تُنَالُ

وهذا البيت ينظر فيه إلى المثل القائل: [من خطب الحسناء لم يغلها المهر], والحكمة في كل منهما تسكن عروض البيت.

ومثلما ختم ابن دراج بعض مراثيه ومدائحه بالحكمة, ختم – كذلك – بعض تهانيه بها, فقد ختم قصيدته القافية في تهنئة عبد الملك بن المنصور بمولود بقوله[134]:

يا عامرا من أَعْمَرُوا سُبُلَ الهُدى لا دَرَّ دَرُّ الخيلِ بَعْدَ عِتاقِها

وختم ميميته التي هنأ بها منذرا بن يحيى بعيد الفطر بقوله[135]:

فمن ينصُرِ الرحمنُ هذي عزائمه ل ومن يخذُلِ الرحمنُ هذي هزائمه

سبع قصائد[136] ختمها ابن دراج بالحكمة, تنوعت أغراضها بين الرثاء والمدح والتهنئة, ولم يمتد نفس الشاعر في هذا اللون من الخاتمة, إذ لم تسكن الحكمة إلا البيت الأخير وأحيانا نصفه الثاني فقط.

4– الثناء على شعره:

عمد ابن دراج في ختام بعض قصائده– لا سيما المدائح– إلى إطراء شعره وبيان محاسنه, من هذا اللون ما ختم به إحدى مدائحه للبيد العامري وفيها رأى شعره جوهرا يزين الصدور, جديرا أن يعالج المريض, ويداوي الجريح, ويؤمن الخائف, ويسعد الحزين, ويؤنس الغريب[137]:

وَذَخَرْتُ للأَزْمانِ من حَسناتِهَا مثْلَ القلائدِ فِي نحورِ

ولأَشفِيَنَّ بِهَا سَقامَ تَغَرُّبِي ولآسُوَنَّ بِهَا جراحَ مَصائبي
ولأَجْعَلَنْ منها تمائِمَ خائفٍ من طائِفٍ أَوْ مِنْ رجاءٍ خائبِ
ولأَتْرُكَنَّ ثناءها وجزاءها قوتَ المُقيمِ غدا وزادَ الرَّاكبِ
وسرورَ محزونٍ وأُنْسَ مُغَرَّبٍ وحُليَّ أَوْتارٍ وروضَةَ شاربِ
ولقد نَثَرْتُ عَلَيْكَ شَكلَكَ جَوْهَرا لا مَا قمَشتُ وضمَّ حبلُ

وفي ختام همزيته إلى بعض القضاة يقدم شعره المتوج بحبه المغلف بتقديره وثنائه هدية للممدوح على صنيعه[138]:

وأَيَّةُ حُرَّةٍ من حُرِّ نَظْمِي تَجَلَّتْ للخلائِقِ فِي جِلاءِ
هَدِيَّةَ واصِلٍ وهَدِيَّ كُفْءٍ إِلَى كُفْءِ الهَدَايا والهِدَاءِ
مُتَوَّجَةً بتاجٍ من وِدادِي مُقَلَّدَةً بِدُرٍّ من ثَنائِي

وفي ختام لاميته في مدح المنصور بن أبي عامر يشيد بمعانيه البكر التي تنير الظلام وتهدي سواء السبيل[139]:

إليكَ جَلَوْتُ أبكارَ معاذِيرا بَلأْلاءِ القَبُولِ
سوارِ في الظَّلامِ بِلا هَوَادٍ في الفلاةِ بلا دَليلِ

وفي ختام إحدى مدائحه لعبد الملك المظفر يقدم شعره البديع, الباقي على الدهر لا تمحوه السنون, هدية للممدوح مغلفة بالحمد, مزركشة بالحب[140]:

تقبَّلْ هدِيَّةَ عبدٍ حَدَاها لسانٌ شَكورٌ وقلبٌ وَدُودُ
جواهِرَ من نظمِ حُرِّ الثناءِ تبيدُ اللَّيالي وَمَا إِنْ تبيدُ

ويختم بائيته التي وصف فيها روضة سوسن وأنشدها المظفر عبد الملك بتصوير شعره قلائد جديرة أن يفسح لها أعلى المنابر, وجواهر قمينة أن تزين تيجان الملوك[141]:

حتى تؤوبَ وَقَدْ نَظَمْتَ قلائد فَوْقَ المنابر لا تُغَيِّرُها الحِقَبْ
بجواهرٍ من فخر يومِك فِي العِدى تبْأَى بِهَا فِي الدَّهْرِ تيجانُ العَرَبْ

فتح تكاد سطورُهُ من نورِها تبدُو فتُقْرَأُ خلْفَ طَيَّاتِ الكُتُبْ
واقبَلْ هَدِيَّةَ عبدِكَ الراجي الَّذِي أَهدى إليك الدُّرَّ من بحر الأدبْ

وفي ختام فائيته في مدح بعض خدم سرقسطة يجعل من شعره فتاة حسنة تشغل الممدوح عن فتاته, ويقدمها – بما تحفل به من معان بكر – مهر شكره لإحسان الممدوح [142]:

فاسْمَعْ فقد أَهديتُها لَكَ غادَةً تُلْهيكَ عن لَثْمِ الحبيبِ وَرَشْفِهِ
جاءَتْكَ تزجُرُ طَيْرَ واجِبِ مَهْرِها فِي نسبةٍ لك كُرِّمَتْ عن خُلْفِهِ
أَنِسَتْ بِبُرْءِ الهَمِّ فِي اسْمِكَ بعدَما كَسَفَتْ سَنا بَدْرِي دياجي كِسْفِهِ
بِكْرا تَحَلَّتْ جَوْهَرَ الشُّكْرِ الَّذِي أَنتَ الوَفيُّ بحَقِّهِ فاسْتَوْفِهِ
فَلَيَنْجُمَنَّ على النُّجومِ بِحُسْنِهِ ولَيَعْرِفْنَّ الجوُّ نَفْحَةَ عَرْفِهِ
ولَيُزْهَيَنَّ عَلَى الغمامِ نَفاسَةً مَن صادَ مِثْلي فِي حَبائِلِ عُرْفِهِ

ويختم إحدى مدائحه بأبيات يصور فيها شعره أزاهير فواحة, وحدائق مرتادة, ومعانيه تسير مسير الرياح, وتطير بغير جناح, نزلت بكل أرض, وحلت بكل ناد, تنشر بره, وتحيي ذكره[143]:

فتِلْكَ أزاهِيرُها قَدْ سَقَيتُمْ تَفُوحُ لَكُمُ من أقاصِي البِلادِ
ويَسْرِي بِهَا فِي الدُّجى كُلُّ سارٍ ويَشدُو بِهَا فِي الورى كُلُّ شادِ
على كُلِّ فُلْكٍ طَرُوقِ الشِّراعِ وَفي كُلِّ رَحْلٍ وَثيقِ الشِّدادِ
وتِلكَ حدائِقُ مَا قَدْ غَرَسْتُمْ مُنىً وجنىً لِنفوسِ العِبادِ
تَرَوَّضُ من نَشْرِها كُلُّ أَرْضٍ ويَنْدى بإنشادِها كُلُّ نادِ
سَتُؤْتِيكُمُ أُكْلَها كُلَّ حينٍ ويُجنِيكُمُ زَهْرَها كُلُّ وادِ
بإحياءِ فَخْرِكُمُ للْحياةِ وإجزال ذُخْرِكُمُ فِي المَعادِ
ودُونَكَ غَرَّاءَ يُضْحِي سَناها بِغُرَّةِ سَيِّدِها فِي ازْدِيادِ
فلا خَانَها أَمَلُ المُسْتَفِيدِ وَأُبْقِيتَ فِي عُمُرٍ مُسْتفادِ

وينظر ابن دراج في هذه الأبيات إلى الكتاب العزيز ويوظف التناص القرآني حيث استعان بلفظ ومعنى قول الله تعالى(تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها), (سورة إبراهيم/ 25).

سبع قصائد ختمها ابن دراج بإطراء شعره وبيان محاسنه, ما بين المدح والوصف, ويرى البحث أن ابن دراج لجأ إلى هذا النمط من الخواتيم مجاراة لشعراء الأندلس من ناحية وتقليدا لشعراء المشرق من ناحية أخرى, وليوجب على الممدوح المكافأة من ناحية ثالثة, فقد مدحه – لا بشعرعادي وإنما – بدرر وفرائد تستحق صلات وعطايا, وامتد نفسه في بعض خواتيم هذا اللون فوصل إلى تسعة أبيات.

5– الشكر:

لابن دراج عدد من المدائح ختمها بتقديم الشكر للممدوح نظير سالف عطاياه, منها قوله في ختام قصيدة يمدح بها أحد رؤساء الكتاب وفيها يشكر الله أن هداه لشكر الممدوح[144]:

وحَمْدا لمَنْ هدَّى لسانِي لحَمدِهِ وحَسبي لَهُ مَنْ قَدْ قَضى أَنَّهُ

ويختم أخرى في مدح منذر بن يحيى وقد انصرف من غزوة شاكرا للممدوح سالف إحسانه وسابق إنعامه[145] :

ولْتَعْلَمِ الآفاقُ أَنَّكَ مُنْعِمٌ حقّا وأَنِّيَ شاكِرُ الإِنْعامِ

ويمدح ابن دراج منذرا بن يحيى في حياة أبيه, ويختم مدحته بتقديم الشكر قائلا[146]:

ولئن شَكَرْتُ اللهَ فِيكَ جزاءَ مَا قسَمَ الفضائِلَ فِي الملوكِ
فلَقَدْ بَلا شُكْرِي بِما خُوِّلْتُهُ أَنِّي وَرِقَّ بَنيَّ مِمّا خَوَّلَكْ
فلَئِنْ لَبسْتُ بكَ الثناءَ فَحَقَّ لي ولَئِنْ لَبسْتَ بيَ الثناءَ فحَقَّ لَكْ

كذلك يختم ابن دراج إحدى مدائحه لمبارك ومظفر صاحبي بلنسية بالحمد والشك نظير برهما به, وإغداقهما عليه, وإيثارهما له, فقد غمراه بما أغناه عن بحار الأرض وأمطار السماء[147]:

وَحَمدا يميني قَدْ تَمَلَّأْتِ وشُكرا يَساري قَدْ حَوَيتِ

وقُلْ لسَماءِ المُزن إنْ شِئْتِ وَيا أَرْضَنَا إن شئت غيضي
ولا تُوحِشي يَا دَوْلَةَ العزِّ مساءَكِ من نُورَيهِمَا

كذا ختم داليته في مدح المنصور بن أبي عامر وتهنئته بوفادة (غند شلب بن شانجة) عليه بقرطبة بتقديم الشكر المغلف بالود, ولا يباري شكره شكر جميع المخلوقات[148]:

واللهُ يشهدُ أَنَّ بَيْنَ جَوَانِحِي نفْسا رجاؤُكَ فِي صَميمِ فؤادِها
لَوْ قارَعَتْ عنكَ الخلائِقِ كلَّها غَلَبَتْ عَلَيْكَ بشكرِها ووِدادِها

وحين صدر كتاب الخليفة هشام المؤيد إلى عبد الملك بن المنصور بتلقيبه المظفر وتولية ابنه محمد خطة الوزارتين مدحه ابن دراج بقصيدة تعهد في ختامها ألا يكف عن تقديم الشكر للممدوح وأن يبقى شكره ما بقى الزمان وتوالى الحدثان, وما ناح الحمام وتعاقبت الأيام[149]:

وسقيتَنِي من جودِ كَفِّكَ مُنعِما كأْسا وجدتُ من الحياةِ
فَلأُلْبِسَنَّ الدهر فيك مَلابِسا للحَمْدِ أحكمَ مَنْطِقي دِيباجَها
جُدُدا عَلَى طولِ الزمانِ أبى لَهُ حُرُّ التيقُّظِ والنُّهى إنْهاجَها
ما عاقَبَ الليلُ النهارَ ورَجَّعَتْ وُرْقُ الحمائِمِ بالضُّحَى

ويتعهد الشاعر في ختام قصيدة هنأ بها المنصور بن أبي عامر في يوم عيد أن يدوم شكره حتى الممات ويستمر رجاؤه حتى الهلاك في ظل الممدوح ورعايته غير باغ به بديلا[150]:

فلأَشكُرَنَّكَ أَوْ تَجِيءَ مَنِيَّتِي ولأَرْجُوَنَّكَ أَوْ يُحَمَّ حِمامي
ولأَصْرِمَنَّ علائِقَ الأَمَلِ الَّذِي يقتادُني لِسِواكَ أَيَّ صِرامِ

سبع قصائد ختمها ابن دراج بالشكر, بعض هذه القصائد مدائح وبعضها تهان, وتراوح عدد أبيات هذا اللون من الخواتيم بين بيت واحد وأربعة أبيات.

6- التهنئة:

لابن دراج دالية وجه بها إلى يحيى بن منذر بمناسبة توليته ابنه منذر ولايةعهده وتلقيبه بالمنصور وختمها بتوزيع التهاني والتبريكات, فقد هنأ التاج والدين والدنيا كما هنأ أدوات القتال وهنأ قبائل العرب, وبالطبع هنأ نفسه واستبشر خيرا بولي العهد الجديد[151]:

وللشاعر قصيدة فائية أنشدها المظفر عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر يعزيه عن طفل له, ومن عجب أنه ختمها بتهنئته بقدوم العيد ودعاه إلى استقباله بالبشر والسرور والفرح والحبور[152]:

واستَقْبِلِ العيدَ مَسْرورا ولا تُهدِي الليالي إِلَيْكَ العِزَّ
وليَهْنِكَ الفوزُ والزُّلفى يلقينَ من دونِكِ التَّبْرِيحَ

ومن المؤكد أن الذوق الأدبي تخلى عن شاعرنا في هذه القصيدة فالمقام مقام عزاء, والمناسبة – جد– حزينة, فعلام يهنئه؟ وكيف يستخدم ألفاظا تنبض بالسعادة والسرور؟, ولا أعلم شاعرا في تاريخ الأدب العربي ختم مرثية بتقديم التهنئة هذا من ناحية, ومن ناحية أخرى فقد خالف شرطا من شروط جودة الخاتمة وضعه حازم القرطاجني بقوله: "ينبغي أن تكون الخاتمة بمعان سارة فيما قصد به التهاني والمديح , وبمعان مواسية فيما قصد به التعازي والرثاء"[153].

وإذا كان الذوق قد تخلى عن ابن دراج في خطابه السابق للمظفر عبد الملك بن المنصور فقد أسعفه هذه المرة حين مدحه بميمية هنأه في ختامها بالعيد[154]:

فاسْعَدْ بعيدٍ أَنتُمُ أَعيادُهُ وسَنيُّ مَفخَرِهِ وأَنفَسُ
بأَعَزِّ يومٍ فِي الدُّنا وأَجَلِّهِ وأَخَصِّ صُنْعٍ فِي المُنى

وتشي بعض ألفاظ هذه الخاتمة بتأثر شاعرنا بالمتنبي لا سيما قوله (عيد أنتم أعياده) وقد سبقه المتنبي فقال لسيف الدولة[155]:

هنيئا لك العيد الذي أنت وعيد لمن سمى وضحى

ويمدح ابن دراج المنصور أبي عامر بقصيدة لامية يختمها بتهنئته بقدوم شهر رمضان[156]:

ويهنيك شهر بأنك بر
فوفيت أجر مساعيك فوز

خمس قصائد[157] ختمها الشاعر بتقديم التهنئة, تنوعت أغراضها بين المدح والرثاء, وتراوح عدد أبيات الخاتمة بين بيتين وأربعة أبيات.

7 – استنجاز الوعد:

ختم ابن دراج عددا من قصائده باستنجاز وعود نالها من ممدوحيه وتأخر تحقيقها, من ذلك قصيدته الميمية التي مدح بها منذرا بن يحيى وهنأه بالعيد وقد وجد الشاعر العيد فرصة مواتية ومناسبة جيدة لتذكير الممدوح بعهوده, واستنجاز وعوده[158]:

وأرى العيدَ يقتضي منكَ كاقْتِضاءِ الثَرى لِصَوْبِ
ودَوَاءٌ مُضَمَّنٌ لشِفاءٍ وسُرورٌ مُيَسَّرٌ بِدوَامِ

ويبدو أن الشاعر كان يحسن اختيار الأوقات التي يستنجز فيها وعود ممدوحيه, فبعد أن مر بنا اختيار مناسبة العيد وفرحة منذر بن يحيى به لتذكيره بوعوده, ها هو يستغل مناسبة جديدة سعيدة لذات الممدوح – منذر بن يحيى– حين برأ من علة ليذكره بعهوده[159] :

فلا أوحش الإسلام عام جهادها ولا أنس الأعداء يوم خلوفها
ولا انصرفت عنك الرغائب والمنى ولا منك إلا مالئات كفوفها
وإنْ رَجَعَتْ عن صِدْقِ وَعْدِكَ بُرْهَةً حواجِبُ آمَالِ الغَرِيبِ بِصُوفِها

ويختم داليته في مدح المؤتمن عبد العزيز بن أبي عامر فيشيد بما عرف عنه من وفاء بالعهود وهذا الوفاء يقتضي تحقيق ما وعد به الشاعر حتى لو بعد بها العهد ونأت به الدار[160]:

وما بُعْدُ عهدي عَنَكَ يُنسِي إليكَ بحقِّي من وفائِكَ بالعَهدِ
ولا نأيُ دارِي عَنْكَ يُبْلِي وَسائِلا جَلِيٌّ بِهَا قُرْبِي وَفِيٌّ بِهَا بُعْدِي
ولا زَالَتِ الأيامُ تُشْرِقُ مِنْكُمُ كَمَا أشْرَقَ الإحسانُ من عِنْدِكُم

أربع قصائد[161] ختمها البحتري باستنجاز الوعد, بعضها مدائح وبعضها تهان, وفي جميعها لم يفصح عن كنه الموعود به, وتراوحت أبيات الخاتمة فيها ما بين بيت واحد إلى أربعة أبيات.

8- الشكوى:

ولابن دراج قصائد لجأ في ختامها إلى الشكوى من ضيق الحال وسوء المآل وطلب من ممدوحه أن يمد له يد الغوث, وبدهي أن يبدو هذا اللون من الخواتيم في قصائد السنوات الثماني العجاف التي أعقبت زوال ملك العامريين وقبل أن يستقر حاله وينعم بطيب العيش ثانية في ظل التجيبيين بسرقسطة, وشهد هذا اللون أطول خواتيمه من حيث عدد الأبيات, حيث وصلت الخاتمة إلى عشرة أبيات.

ففي داليته في مدح الوزير القاسم بن حمود سأله أن يكتب إلى أخيه علي بن حمود بسبتة يوصيه خيرا به:

يا بن الوصي علي أوص سميه ألا يضيع سمي جدك أحمد

قبل أن يشكو إليه في ختامها الجدب والمحل الذي أصابه وأبناءه إذ تركوا وطنهم, وشدوا رحالهم, فارقوا نعيم البيت وظل القصر, إلى لهيب الشمس وقيظ الحر, يعانون الخوف ويشكون الفزع, في أكناف الهم, وظلال الغم, لاطموا أمواج الفاقة والعدم, ويتطلعون إلى بحرالجود والكرم[162]:

في ستة ضعفوا حملا لمبهور
شد الجلاء أفلاذ قلب
وحَدَتْ بِهِمْ أَوْطانَهُمْ فِي
لا ذَاتُ كِنٌّ ولا ذو
عاذُوا بلَمْعِ مِنْ بَعدِ ظِلٍّ
ورَضُوا لباسَ بِالبُؤْسِ أَبشارَ
واستَوْطَنُوا أَهْوَالَ بَحْرٍ
مِن كُلِّ عارٍ ومُزَوَّدٍ بالصَّبْر
ولَنِعْمَ جَبْرُ والذُّلِّ بَعدَ

وفي ختام ثانية يشكو ضيق ذات اليد وعجزه عن الوفاء بمتطلبات أبنائه, الذين يفترشون الأرض بلا غطاء, ويفتقدون ما يقيهم برد الشتاء[163]:

فيا ضِيقَ ذَرْعِي لَهُمْ بالزَّفِيرِ عَلَى ضِيقِ ذَرْعِي بِضِيقِ الشِّتاءِ
وَقَدْ آذَنَتْهُمْ يَدِي واضْطِلاعي بِعُدْمِ الوِقاءِ لهمْ والصِّلاءِ
فما بسوى حرِّ تلك الصدورِ يُوَقَّونَ من بردِ هذا الهواءِ
وإن راعتِ الأرضُ منهم جنوبا تسلَّوا برعيِ نجومِ السماءِ .

وعلى نفس المنوال نسج ختام لاميته التي مدح بها الوزير عيسى بن سعيد وفيها شكا الجدب والمحل, ودعاه للجود والبذل, مصورا ما آل إليه حاله حيث تفتح مجالس اللهو والخمر الباب لأشعاره وتغلقها في وجهه, وتتسع الموائد للقاصي والداني والكبير والصغير وتضيق به, الخير يملأ جنبات الأرض وهو جائع, والماء يتدفق من تحته ويسيل من فوقه وهو ظامئ وأولاده[164]:

مطالب أبقى الدهر منها مظالما تناديك بالشكوى وتدعوك للفضل
أيحتقب الركبان شرقا وغربا غرائب أنفاسي وألقاك في الرجل
وينتقل الشرب الندامى بدائعي وهيهات لي من لذة الشرب والنقل
وضيف بحيث الطير تدعى إلى القرى يضيق به رحب المباءة والنزل
طو ووجوه الأرض خصب ومطعم وعيمان والجلمود يفهق بالرسل
وحران أوفى ظمء تسع وأربع[165] بحيث تلاقى دافق البحر والوبل
ودوحة علم في السماء غصونها ترف بلا سقيا سوى بغش الطل

9 – تقديم النصح:

ختم ابن دراج ثلاث مدائح له بتقديم النصح والإرشاد إحداها قصيدته في مدح المستعين بالله سليمان بن الحكم وينصحه في ختامها أن يكتفي بالله فهو الكفيل بمنعه, وألا يهتم بمن سواه فهو الجدير بحفظه, رآه جديرا بالخلافة فمنحه إياها على رغم أنف أعدائه[166]:

فَسِرْ فِي ضَمانِ اللهِ ناصِرَ دَوْلَةٍ كَأَنَّ عمودَ الصُّبحِ فِي وَجْهِها انشَقَّا
وحسبُكَ مَنْ حَلّاكَ تاجَ خِلافَةٍ رآكَ لَهَا أَهْلا فأعطاكَها حَقَّا

والثانية في مدح منذر بن يحيى وينصحه – وقد أصابته حمى – أن يتناسى مرضه وأن يسرع نحو عليائه بتأديب أعدائه, وأن يذيقهم الذل والدمار والخزي والعار حتى يستوي منفردا على كرسي الحكم[167]:

ويا مُنْذِرَ الراياتِ والسَّابحاتِ قُمْ فأَنْذِرْ عِداكَ الذُّلَّ والخِزْيَ والرَّغْما
وأَوْفِ عَلَى العَلْياءِ واسْتَوفِ أَنعُما حباكَ الَّذِي يَحْبُو بأَجْزَلِها قِسْما

وفي هذه الخاتمة وظف ابن دراج التناص القرآني حيث استعان بلفظ ومعنى الآية الثانية من سورة المدثر.

والأخيرة مدح بها الناصر عبد الرحمن بن المنصور وأشاد بانتصاره في غزوة شنتياقه عام 387هـ ونصحه في ختامها أن يخرج عامه هذا بالمسلمين إلى الحج وزيارة أقدس البقاع لدى المسلمين وذلك عقب عودته منتصرا على المسيحيين وتدميره مدينة شنتياقة أقدس بقاع المسيحية الإسبانية– خاصة– والأوروبية – عامة– إذ أنها موضع حجهم ونسكهم[168]:

فعرج على الحج بالمسلمين بعقب اصطلامك حج النصارى
فقد نشرت مصر والقيروان ومدت عيون الحجاز انتظارا

10 – الاعتذار:

لابن دراج قصيدة رائية يمدح بها المنصور بن أبي عامر ختمها بالاعتذار والندم وطلب العفو والصفح[169]:

فقدني لكشف الخطب والخطب وكلني لليث الغاب وهو
فقد تخفض الأسماء وهي سواكن ويعمل في الفعل الصحيح
وتنبو الردينيات والطول وافر وينفذ وقع الهم وهو قصير
حنانيك في غفران زلة تائب وإن الذي يجري به لغفور

11– الخاتمة المقطوعة:

في ديوان ابن دراج العديد من القصائد التي رفع قلمه عنها دون أن نشعر, وقطعها والنفس متعلقة بها, وليس في آخرها ما يدل على قرب انتهائها, إذ تعمد ألا يجعل لها خاتمة, من هذا النمط قصيدته الدالية في مدح منذر بن يحيى[170] إذ بدأها بقوله:

بفتح الفتوح وسعد السعود وعز العزيز وحمد الحميد
تدرعت صبرا تجلى بنصر وأوفيت شكرا وفى بالمزيد

ونمضي مع الشاعر نستعرض معانيه المدحية وهو يسبغ على الممدوح صفات الكرم والشهامة والنجدة والشجاعة:

فكم صبحتك بفتح قريب سرى ليلة ذات صبح بعيد
وكم حملت منك بيداء قفر إلى الكفر من يوم حين مبيد

ثم ينتقل إلى وصف إحدى معاركه وانتصاراته:

وجيش عقدت له فى الجهاد لواء سما بوفاء العقود
وأصبحت أعلى جبال تزلزلها بجبال الحديد

وإذ بالشاعر يتوقف فجأة عند قوله:

ولو شمت سيفك فى صدر وقيصر بين الطلى والوريد
لما نلت حقك سعيا وهديا ولا بعض ثأر أبيك الشهيد
وفى الله أكفأت كأس المنام وسمت جفونك فقد الهجود

وبهذا البيت تنتهي القصيدة, وهو بيت لا يؤذن بانتهاء الكلام, ولا يروي ظمأ النفس المتشوقة إلى المزيد, ولكن ابن دراج أوقف مداد القصيدة عند هذا الحد.

وهذا النمط من الخواتيم يصدق على العديد من قصائد الشاعر, ولنلق نظرة على قصيدته اللامية التي أنشدها المنصور في يوم الأضحى سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة ومطلعها[171]:

كفي شئونك ساعة فتأملي في ليلها بشرى الصباح المقبل

وبعد حديث طويل مع زوجته يتخلص الشاعر إلى المدح بقوله :

ولديّ للمنصور شكر صنائع تنأى الركاب بعبئها المتحمل

ويشرع ابن دراج في تعداد المناقب وبخاصة جود الممدوح وكرمه, حتى ينتهي إلى قوله:

وتواضعت صيد الملوك مهابة يضعون أوجههم مكان الأرجل
ورأوا هلال الملك فوق سريره بسنا المكارم والهدى المتهلل

وبهذين البيتين تنتهي القصيدة فجأة وبلا مقدمات, ويطول بنا الحديث إن نحن تتبعنا هذا اللون من ألوان خواتيم القصائد عند ابن دراج[172].

إن هذا النمط من الخواتيم, والذي ورد بكثرة في ديوان ابن دراج يندرج تحت قول ابن رشيق القيرواني: "مِن العرب مَن يختم القصيدة فيقطعها والنفس بها متعلقة, وفيها راغبة مشتهية, ويبقي الكلام مبتورا كأنه لم يتعمد جعله خاتمة, كل ذلك رغبة في أخذ العفو وإسقاط الكلفة"[173].

وليس ابن دراج أبا عُذرة هذا اللون من الخواتيم, بل سبقه إليه كثير من الشعراء أشهرهم امرؤ القيس والأعشى, فكلاهما قطع معلقته متعمدا ألا يجعل لها خاتمة, ومثلهما زهير بن أبي سلمى في لاميته التي أولها[174]:

صحا القلب عن سلمى وأقصر وعُرِّى أفراس الصبا ورواحله

إحصاء بأنماط الخواتيم:

م	نمط الخاتمة	عدد القصائد	موضوعات القصائد	الحد الأقصى لعدد أبيات الخاتمة
1	الدعـاء	50	مدح – رثاء ـــ تهنئة– وصف	8
2	طلب الجائزة	25	مدح	6
3	الحكمة	7	مدح – تهنئة – رثاء	1
4	الثناء على شعره	7	مدح – وصف	9
5	الشكر	7	مدح– تهنئة	4
6	التهنئة	5	مدح – رثاء	4
7	استنجاز الوعد	4	مدح – تهنئة	4
8	الشكـوى	4	مدح	10
9	تقديم النصح	3	مدح	2
10	الاعتذار	1	مدح	4
11	الخاتمة المقطوعة	45	مدح ـــ رثاء – تهنئة	–

وهكذا يكون ابن دراج قد عدَّد ونوَّع أنماط الخواتيم حتى وصلت إلى أحد عشر نمطا, وهذا التنوع يدفع السأم, ويجنب الملل والرتابة من ناحية, كما يشي بمقدرة فنية عند ابن دراج من ناحية أخرى.

وقد لاحظ البحث أنَّ عددا قليلا من خواتيم ابن دراج استغرق بيتا واحدا أو بعض بيت, أما أغلب خواتيمه فبلغت بضعة أبيات, وأكبر خواتيمه – على الإطلاق – من حيث

عدد الأبيات بلغ عشرة أبيات, وحين كانت الخاتمة بيتا واحدا كان ذلك مراعاة للتعديل بين أقسام القصيدة, وحين امتدت إلى عشرة أبيات لم تطغ على الغرض العام للقصيدة.

وإنَّ المتتبع لخواتيم ابن دراج يجد – حينا – ارتباطا بين غرض القصيدة ونمط الخاتمة, بحيث يتكررنمط الخاتمة بتكرار الغرض, ونعدم هذا النمط من الخاتمة في غير هذا الغرض الشعري كما رأينا في خواتيم: طلب الجائزة, الشكوى,تقديم النصح ,الاعتذار, وكلها أنماط من الخواتيم ارتبطت بغرض المدح فقط, ولم نر أيا منها في غير قصائد المدح, وأحيانا لا نجد مثل هذا الارتباط, حيث تتنوع موضوعات القصائد للنمط الواحد من الخواتيم, كما رأينا في خواتيم: الدعاء, الحكمة, الثناءعلى شعره, الشكر, التهنئة, استنجاز الوعد, الخاتمة المقطوعة, وكلها أنماط من الخواتيم لم ترتبط بغرض شعري واحد, إنما ارتبطت بأغراض شعرية مختلفة.

النتائج والتوصيات

1- يمتلك ابن دراج سجلا حافلا بثناءات النقاد والمؤرخين عليه وعلى فنه في القديم والحديث وما أكثر ما أشار إليه مترجموه بقولهم (شاعر الأندلس).

2- أشير إلى الخاتمة في كتب النقد القديم بكثير من الأسماء أهمها: الخاتمة – الختام – حسن الختام – الانتهاء – المقطع – حسن المقطع – براعة المقطع – الأواخر – المقاطع.

3- اهتم النقاد القدامى بخواتيم الأعمال الأدبية اهتماما بالغا, ودعوا إلى ضرورة تنقيحها والاهتمام بها, كما وجهوا نظر الشعراء إلى العناية بها لعظم دورها في بناء القصيدة, ولأنها إحدى وسائل المفاضلة بين الشعراء, كما اشترطوا لجودتها العديد من الشروط.

4- تنوعت أنماط خواتيم القصائد عند ابن دراج, فختم بالدعاء, وطلب الجائزة, والحكمة, والثناء على شعره, والشكر, والتهنئة, واستنجاز الوعد, والشكوى, وتقديم النصح, والاعتذار, وكلها خواتيم تقليدية ذللها السابقون واحتذاها اللاحقون.

5- عمل ابن دراج– في أكثر الأحيان– على التمهيد لخواتيمه, حتى لا تأتي الخاتمة مفاجأة, وجاءت معظم خواتيمه حسنة على شرط القزويني الذي يرى أن أحسن الانتهاءات ما آذن بانتهاء الكلام, كما التزم بشرط ابن رشيق حين قصر دعاءه في خواتيمه على الملوك فقط .

6- خلت خواتيم قصائد ابن دراج من الألفاظ الصعبة, والصور الغامضة, والأساليب الملتوية, والألفاظ الكريهة, والمعاني المنفرة للنفس.

7- وظف ابن دراج في خواتيمه التناص توظيفا حسنا حيث تداخلت خواتيم قصائده مع نصوص قرآنية وأخرى شعرية, كما اقتبس بعضها من الأمثال العربية.

8- تخلى الذوق الأدبي عن ابن دراج حين ختم مرثية له بالتهنئة ودعوة المعزى إلى استقبال العيد بالبشر والسرور, من غير أن يراعي التناسب بين موضوع القصيدة وخاتمتها.

9- أخيرا يوصي البحث بإجراء المزيد من الدراسات حول خواتيم قصائد الشعراء في مختلف عصور الأدب العربي.

هوامش البحث:

[1] الخاتمة في قصيدة عصر ما قبل الإسلام/ 209.

[2] القصيدة العمودية...جماليات الخاتمة... قراءة في نماذج من الشعر الموصلي المعاصر/2.

[3] الخاتمة في شعرالمتنبي/ 209.

[4] الديوان/ 82 .

[5] جدوة المقتبس/ 110.

[6] الديوان/ 500 .

[7] الديوان/ 216 , الماء الصرى : الذي طال استنقاعه.

[8] ينظر المغرب 2/ 299, 2 / 435, نفح الطيب3 / 341, 3 / 195 , شذرات الذهب217/3 .

[9] ديوان ابن شـــهيد ، تح يعقوب زكي ,مراجعة محمد علي مكي ، دار الكتاب العربي، القاهرة، د.ت،ص 48.

[10] يتيمة الدهر 2 / 87 , انظر مقولة الثعالبي في: وفيات الأعيان 135/1, ســـير أعلام النبلاء17/ 500, تـاريخ الإســـلام29/ 51 , مرآة الجنـان3/ 38 , نفح الطيـب3 / 195, شـــذرات الذهب217/3, فضائل الأندلس وأهلها1/ 36, الأعلام 1 / 11.

[11] يتيمة الدهر 2/ 87 – 97.

[12] التقريب لحد المنطق1/ 90.

[13]) الذخيرة ق4 ج1/ 211.

[14] جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس/ 110 , وينظر الصلة299/1 .

[15] جذوة المقتبس/ 111, وينظر الصلة299/1 , سير أعلام النبلاء 365/17, تاريخ الإسلام49/29, النجوم الزاهرة4/ 272 , شذرات الذهب217/3 .

[16] جذوة المقتبس/111, والخبر في: رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها225/2 – 226.

[17] اقتباس الأنوار/ 111 – 112.

[18] الذخيرة ق1 ج1 / 59 وما بعدها .

[19] الذخيرة ق1 ج1/ 72.

[20] بدائع البدائه1/ 299.

[21] نفح الطيب3 / 195, وانظر: فضائل الأندلس وأهلها1/ 36 .

[22] وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان135/1.

[23] مفاخر البربر/ 63 .

[24]) الذخيرة ق4 ج1/211.
[25]) سير أعلام النبلاء17/ 500
[26]) سير أعلام النبلاء17/ 365.
[27]) تاريخ الإسلام29/ 49.
[28]) معاهد التنصيص/ 581.
[29]) النجوم الزاهرة4/272.
[30]) صفة جزيرة الأندلس/ 160.
[31]) شذرات الذهب3/ 217 .
[32]) السابق3/ 219.
[33]) السابق3/222.
[34]) احمد هيكل: الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة / 326.
[35]) في الأدب الأندلسي/ 90 – 91.
[36]) أحمد ضيف بلاغة العرب في الأندلس/ 112.
[37]) السابق/ 114.
[38]) الأعلام 1 / 11.
[39]) الديوان/ 28.
[40]) الشعر الأندلسي في القرن الحادي عشر/37 .
[41]) الشعر الأندلسي/38.
[42]) خزانة الأدب وغاية الأرب 4/ 427.
[43]) تحرير التحبير/ 94 – 95 .
[44]) الطراز 3 / 106.
[45]) نهاية الأرب في فنون الأدب ج 7 ص 113.
[46]) حسن التوسل/ 255 .
[47]) إعانة الطالبين4/ 337 .
[48]) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان/ 167.
[49]) الإيضاح/ 452 – 457.
[50]) الوساطة / 48.
[51]) كشاف اصطلاحات الفنون 2/ 154.
[52]) أنوار الربيع 6/ 324.
[53]) خزانة الأدب وغاية الأرب 4/ 427 .

[54]) ديوان ابن خفاجة/ 9.
[55]) البديع في نقد الشعر/295.
[56]) العمدة 1/ 217.
[57]) الطراز 3/ 104.
[58]) منهاج البلغاء وسراج الأدباء /285.
[59]) تلخيص كتاب الشعر لأرسطو / 89.
[60]) الصناعتين/ 411.
[61]) العمدة 1/ 239, ويقصد بالفصول الثلاثة الابتداء والتخلص والخاتمة .
[62]) تحرير التحبير/616.
[63]) السابق/ 616.
[64]) الطراز3 / 105.
[65]) السابق 3 / 104.
[66]) منهاج البلغاء / 306.
[67]) السابق/ 306.
[68]) الصناعتين/ 410.
[69]) الإيضاح/ 458.
[70]) البديع في نقد الشعر/ 287.
[71]) حسن التوسل إلى صناعة الترسل/ 255.
[72]) جواهر البلاغة/ 344.
[73]) معجم البلاغة العربية 1 / 84.
[74]) الشعر والشعراء 1 / 101.
[75]) العمدة 1/ 232.
[76]) إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب 1/ 75.
[77]) شرح مقامات الحريري / 125.
[78]) الصناعتين/ 410, البيان والتبيين 1/ 106, العمدة 1/ 216.
[79]) العمدة 1/ 217.
[80]) ديوان كشاجم/ 280.
[81]) الديوان 359 – 360.
[82]) الديوان/ 219.
[83]) الديوان/ 268.

[84]) الديوان/ 308.
[85]) الديوان / 580.
[86]) الديوان/ 419.
[87]) الديوان/ 541.
[88]) الديوان/ 112.
[89]) الديوان/ 515.
[90]) الديوان/ 278.
[91]) الديوان / 637.
[92]) الديوان/90.
[93]) الديوان / 91 .
[94]) الديوان/ 373 – 374.
[95]) الديوان/ 116.
[96]) الديوان / 691.
[97]) الديوان / 689.
[98]) الديوان/ 380.
[99]) الديوان/ 134.
[100]) الديوان/ 212.
[101]) الديوان / 669.
[102]) الديوان/ 348.
[103]) الديوان/366.
[104]) الديوان/ 368.
[105]) الديوان/ 437.
[106]) الديوان/ 226.
[107]) الديوان/ 241.
[108]) الديوان/ 545.
[109]) الديوان/286.
[110]) العمدة 1/ 241.
[111]) الديوان / 503.
[112]) الديوان / 339.
[113]) الديوان / 573.

[114]) الديوان / 93.

[115]) الديوان/ 548.

[116]) الديوان / 180.

[117]) المقري: أزهار الرياض1/ 120, انظر جذوة المقتبس/ 370.

[118]) الديوان / 475.

[119]) الديوان / 478.

[120]) يقصد كلمة البر برفع الباء ومعناها القمح.

[121]) الديوان / 649.

[122]) الديوان / 461.

[123]) الديوان / 565.

[124]) الديوان / 95 .

[125]) الديوان / 656.

[126]) الديوان / 250.

[127]) الديوان / 321.

[128]) للمزيد من القصائد التي ختمها بطلب الصلة والنوال انظر القصائد أرقام: 24 , 28 , 32, 41 ,98 , 130 , 133 , 152 ... إلخ.

[129]) الديوان / 447.

[130])هو أربد بن قيس أخو لبيد الشاعر لأمه, أراد قتل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مع عامر بن الطفيل, فدعا عليه الرسول– عليه السلام– فانقضت عليه صاعقة فهلك, وقد بكاه أخوه لبيد في شعره.

[131]) الديوان / 624.

[132]) الديوان / 644.

[133]) الديوان / 582.

[134]) الديوان / 588.

[135]) الديوان / 300.

[136]) ينظر الديوان / 140.

[137]) الديوان / 201.

[138]) الديوان / 456.

[139]) الديوان / 710.

[140]) الديوان / 102.

[141]) الديوان / 115.

[142]) الديوان / 433.

[143]) الديوان / 660.

[144]) الديوان / 186.

[145]) الديوان / 318.

[146]) الديوان / 397.

[147]) الديوان / 194.

[148]) الدسوان / 576.

[149]) الديوان / 105.

[150]) الديوان / 569.

[151]) الديوان / 363.

[152]) الديوان / 598.

[153]) منهاج البلغاء/ 306.

[154]) الديوان/ 429.

[155]) ديوان المتنبي 1 / 285.

[156]) الديوان / 80.

[157]) ينظر الديوان / 519.

[158]) الديوان / 684.

[159]) الديوان/ 312.

[160]) الديوان / 664.

[161]) ينظر الديوان / 206.

[162]) الديوان / 159.

[163]) الديوان / 470.

[164]) الديوان / 128, العيمان: من أصابته العيمة وهي الشهوة إلى اللبن, الرسل : اللبن , البغش : المطر الضعيف.

[165]) يشير هنا إلى أولاده الذكور والإناث.

[166]) الديوان/ 153.

[167]) الديوان / 613.

[168]) الديوان / 610.

[169]) الديوان / 426.

[170]) الديوان قصيدة 54 ص 322 – 325.

[171]) الديوان قصيدة 113 ص 557 – 562 .

[172]) انظر القصائد أرقام: 3, 59, 99, 101, 106, 111, 131, 134, 151 إلخ.

[173]) العمدة 1/ 240.

[174]) ديوانه/ 187.

مراجع البحث

1– إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب – دار الثقافة – لبنان – الرابعة 1983م .

2- أحمد ضيف: بلاغة العرب في الأندلس – دار المعارف – الثانية 1988م .
3- أحمد مطلوب: معجم المصـــطلحات البلاغية وتطورها- مطبوعات المجمع العلمي العراقي- 1987م .
4- أحمد هيكل: الأدب الأندلســـي من الفتح إلى ســـقوط الخلافة- دار المعارف- الرابعة1968م .
5- بدوي طبانة: معجم البلاغة العربية- دار الرفاعي الرياض- الثالثة 1988م .
6- ابن بسام الشنتريني(أبو الحسن علي ت 542هـ): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة – تح إحسان عباس- دار الثقافة بيروت-1979م.
7- ابن بشكوال(أبو القاسم خلف ت 578هـ):الصلة – تح إبراهيم الإبياري- دار الكتاب المصري- 1989م .
8- البغدادي (إسماعيل باشا ت 1339هـ): هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين – دارالكتب العلمية بيروت – 1992م.
9- ابن تغري بردى(جمال الدين أبو المحاسن ت874هـــ): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة – وزارة الثقافة والإرشاد القومي – مصر.
10- التهانوي(محمد بن علي ت 1191هـ): كشاف اصطلاحات الفنون- تح لطفي عبد البديع – مكتبة النهضة المصرية 963م.
11- الثعالبي(أبو منصور عبد الملك محمد ت 429هـــ): يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر- تح محيي الدين عبد الحميد- المكتبة العصرية بيروت – الأولى 2012م.
12- الجرجانى(على بن عبد العزيز ت 392هـــ): الوساطة بين المتنبى وخصومه – تح أبو الفضل إبراهيم وآخر – المكتبة العصرية – صيدا – لبنان.
13- جودت الركابي: في الأدب الأندلسي- دار المعارف مصر- 2008م.
14- ابن حجة الحموي(تقي الدين أبو بكر ت 837هـ): خزانة الأدب وغاية الأرب – تح كوكب دياب- دار صادر بيروت- الأولى 2001م .

15- ابن حزم الأندلسي(أبو محمد علي ت456 هـــ): رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها- تح إحسان عباس- المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت- الثانية 1987 م .

16- _____ التقريب لحد المنطق- تح إحسان عباس- المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - الثانية 1987م.

17- الحصربالقيروانى(أبو إسحاق إبراهيم ت 488هـــ): زهر الآداب وثمر الألباب - شرح زكى مبارك - دار الجيل - بيروت - الرابعة .

18- الحميدي(أبو عبد الله محمد ت 488هـــ): جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والأدب وذوي النباهة والشعر- تح محمد بن تاويت الطنجي- القاهرة 1953م .

19- الحميري(أبو عبد الله محمد ت 900هـــ): صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار - عني بنشرها وتصحيحها وتعليق حواشيها إ.ليفي بروفنسال- دار الجيل بيروت- الثانية 1988م .

20- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد ت 681هـ):وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان- تح احسان عباس- دار الثقافة - لبنان .

21- ابن دراج القسطلي(أبو عمر احمد بن محمد ت 421هـ): ديوان - حققه وقدم له وعلق عليه محمود علي مكي - منشورات مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري الكويت- الثانية 2004م .

22- الذهبي(شمس الدين محمد ت 748هـ): سير أعلام النبلاء - تح شعيب الأرناؤوط ,محمد نعيم العرقسوسي- مؤسسة الرسالة بيروت - التاسعة 1413هـ.

23- _____ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام - تح عمر عبد السلام تدمرى- دار الكتاب العربي لبنان- الأولى 1987م.

24- ابن رشد (أبو الوليد محمد ت 595هـــ): تلخيص كتاب الشعر لأرسطو - تح تشارلس بترورث وآخر - الهيئة المصرية العامة للكتاب - 1986م.

25- ابن رشيق (أبو علي الحسن ت 456هـ): العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده – تح محي الدين عبد الحميد – دار الجيل بيروت – الخامسة 1981م.
26- الزركلي(خير الدين بن محمد ت 1396ه): الأعلام- دار العلم للملايين- الخامسة عشرة 2002م.
27- ابن سعيد المغربي(أبو الحسن علي ت 685هـ): المغرب في حلي المغرب- تح شوقي ضيف – دار المعارف – الثالثة 1955م.
28- ابن شطا الدمياطي(أبو بكرالسيد ت 1369هـ):حاشية إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين لشرح قرة العين بمهمات الدين- دار الفكر بيروت – د.ت.
29- ابن شهيد(أبو عامر أحمد ت 426هـ): ديوان – تح يعقوب زكي –مراجعة محمد علي مكي – دار الكتاب العربي القاهرة- د.ت.
30- ابن ظافر الأزدي(جمال الدين أبو الحسن علي ت 613هـ): بدائع البدائه – تح مصطفى عبد القادر- دار الكتب العلمية بيروت- الأولى 2007م.
31- ابن عاشور(محمد الطاهرت 1284ه): التحرير والتنوير- دار سحنون للنشر والتوزيع تونس – 1997م.
32- العسكرى(أبو هلال الحسن ت 395هـ): الصناعتين الكتابة والشعر – تح على محمد البجاوى وآخر – المكتبة العصرية – صيدا – الأولى 2006م.
33- العلوي (يحيى بن حمزة ت 745هـ): الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز – المكتبة العصرية بيروت- الأولى 1423ه.
34- ابن العماد الحنبلي(عبد الحي بن أحمد ت 1089ه): شذرات الذهب في أخبار من ذهب – تح عبد القادر الأرناؤوط وآخر- دار بن كثير- دمشق – الأولى 1406ه.
35- القرطاجني(أبوالحسن حازم ت 684هـ): منهاج البلغاء وسراج الأدباء- تح الحبيب بن خوجة – دار الكتب الشرقية – تونس 1966م.
36- القزويني(جلال الدين محمد ت 739هـ): الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع – تح محمد عبد المنعم خفاجي- مكتبة المعارف للنشر والتوزيع- الرياض – الأولى 2006م.

37- كشاجم(محمود بن الحسين ت 360هـ): ديوان- تقديم وشرح مجيد طراد- دار صادر بيروت – الأولى 1997م.
38- اللخمي(أبو محمد عبد الله ت 542هـ): اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار ويليه اختصار اقتباس الأنوار- تح محمد سالم هاشم- دار الكتب العلمية بيروت- الأولى1999م.
39- المتنبي(أبو الطيب أحمد ت 354ه): ديوان بشرح أبي البقاء العكبري- تح مصطفى السقا وآخرين- دار المعرفة بيروت- د.ت.
40- المقري(أحمد بن محمد ت 1041 هـ): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب – تح إحسان عباس- دار صادر بيروت – 1388ه.
41- ابن منقذ (أبو المظفر أسامة ت 584 هـ): البديع في نقد الشعر – تح أحمد بدوي وآخر – مراجعة إبراهيم مصطفى – مطبعة البابي الحلبي القاهرة 1960م.
42- النويري (شهاب الدين أحمد ت 733هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب – تح مفيد قمحية وجماعة –دار الكتب العلمية- بيروت – الأولى 2004م.
43- الهاشمي(السيد أحمد): جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع- تح يوسف الصميلي- المكتبة العصرية بيروت- 2010م.
44- اليافعي(عبد الله بن أسعد ت 768هـ): مرآة الجنان وعبرة اليقظان – دار الكتاب الإسلامي القاهرة – 1993م.